

THAFSEER LITERATURE

STUDY MATERIAL

B.A (AFZALUL ULAMA)
SECOND SEMESTER

(COMPLEMENTARY COURSE)
(2011 Admission)



UNIVERSITY OF CALICUT

SCHOOL OF DISTANCE EDUCATION

P.O.CALICUT UNIVERSITY, MALAPPURAM,THRISSUR, KERALA-673 635.

**UNIVERSITY OF CALICUT
SCHOOL OF DISTANCE EDUCATION**

**STUDY MATERIAL
BA AFZAL UL ULAMA**

**II SEMESTER
COMPLEMENTARY COURSE**

THAFSEER LITERATURE

Prepared by:
SRI. NAJAMUDDEEN P.
Dept. of Arabic.
WMO College. Muttill, Wayanad.

Edited and Scrutinised by :
DR.P.K.ABDU RAZAK SULLAMI,
Professor (Retd.),
Thouheed Manzil,
Near O.H.S.S., Thirurangadi,
PIN-676 306

Lay out :
Computer Section, SDE.

©
Reserved

القرآن الكريم

القرآن الكريم أول كتاب دُون في اللغة العربية، أنزله الله تعالى هدى للبشرية وشفاء لهم لما في الصدور، وهو بمثابة دليل للإنسان الذي لا يقدر أن يسير في حياته إلا بإرشاد إلهي، والله تعالى قد ضمن بقاء هذا الكتاب حتى إلى آخر رجل يعيش فوق الأرض لئلا يكون للناس حجة يوم القيامة، بينما نرى سائر الكتب المقدسة في الأمم الغابرة ما ضمن الله بقاءها، وقد وكل حفظها إلى الأحرار والرهبان في تلك الأيام، فكان العاقبة أن حرفوا تلك الكتب وألبسوا الحق بالباطل، ولم يبق منها نسخة واحدة على أصلها.

وكان من الإرادة الإلهية أن أنزل هذا القرآن الكريم منجماً في بضع وعشرين سنة، وربما نزلت الآية المفردة، وربما نزلت آيات عدة إلى عشر، وذلك بحسب الحاجة التي تكون سبباً في النزول، ولِيُثَبِّتَ به فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم، فإن آياته كالزلال الروحية، ثم ليكون ذلك أشد على العرب وأبلغ في الحجة عليهم وأظهر لوجه إعجازه وأدعى لأن يجري أمره في مناقلاتهم ويثبت في ألسنتهم ويتسلسل به القول.

القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة. أنزله الله على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى الصراط المستقيم. وإن من فضل الله على الإنسان أن قاده إلى الخير وأرشده إلى البر. والقرآن بتلك الخصائص يعالج المشكلات الإنسانية في شتى مرافق الحياة الروحية والعقلية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

ولولا نزوله متفرقا - آية واحدة إلى آيات قليلة - ما أفهمهم الدليل في تحديدهم بأقصر سورة منه، إذ لو أنزل جملة واحدة كما سألوا لكان لهم في ذلك وجه من العذر يُلبس الحق بالباطل، وينقَس عليهم أمر الإعجاز. ولكن الآية أو الآيات القصيرة تنزل في زمن يعرفون مقداره بما ينزل في عقبها ثم هم يعجزون عن مثلها في هذا الزمن بعينه، وفيما يربو عليه ويُضعف، وعلى انفساح المدة وتراخي الآيات بعد ذلك من الدهر طويل.

ثم إن سؤالهم هذا تولى الله تعالى الإجابة عنه في موضعين من قرآنه: قال تعالى: وقال الذين كفروا لو لا نُزِّلَ عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً، (سورة الفرقان، الآية: 32) وقال أيضاً: وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً، (سورة الإسراء: الآية: 106). فقد بين القرآن الكريم حكماً وأسراراً غفل عنها الفلاسفة والحكماء المتقدمون، وأتى بالأفكار والعبر التي ما خطر ببالهم.

وكان من مشيئة الله تعالى أن جعل نزوله متفرقا حسب الظروف والأحوال، كما طبيعة السور تتميز، إذ نرى ما كان ينزل من القرآن الكريم في ابتداء الوحي وجدناه من قصار السور، ثم تدرج وصار على نسق يترقى إلى الطول، وقد قسم علماء التفسير السور القرآنية حسب طولها إلى أربعة أقسام:

الطوال: من سورة البقرة إلى سورة البراءة.

المئون: ما كانت آياتها تزيد على مائة أو تقاربها.

المثنائي: وهو ما كان أقل من مائة لأنها تنثنى وتكرر وتعاد.

المفصل: وهو من سورة الحجرات إلى سورة الناس. وهو أيضا مقسم إلى ثلاثة: الطوال: من الحجرات إلى البروج ، والأوساط : من الطارق إلى سورة البينة، والقصار: من سورة الزلزال إلى سورة الناس.

لقد كان ابتداء الوحي في سنة 611 للميلاد بمكة ، ثم هاجر منها النبي صلى الله عليه وسلم في سنة 622 إلى المدينة المنورة فنزل القرآن مكيًا ومدنيًا ، كانت عزيمة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه متوجهة أول الأمر نحو جمع القرآن في القلوب بحفظه واستظهاره ، لأنه نبي أمي بعثه الله في الأميين ، كما أن أدوات الكتابة لم تكن ميسرة لديهم فكان الاعتماد على الحفظ في الصدور يفوق ما كان محفوظا في السطور . وعلى أي حال لم تصرفهم العناية بحفظ القرآن واستظهاره عن العناية بكتابه ونقشه بمقدار ما سمحت به وسائل الكتابة . فكان بعض الصحابة يكتبون ما ينزل من القرآن ابتداء من أنفسهم ، أو بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم فيخطونه على ما اتفق لهم يومئذ من العصب والكرانيف واللخاف والرقاع وقطع الأديم وعظام الأكتاف والأضلاع من الشاة والإبل ، وكل ما وجدوا من مثلها مما يصلح لغرضهم ، وقد اشتهر من كتاب الوحي خمس وعشرون كاتبًا ، ويبدو أن عددهم أكثر من ذلك . فقد بلغ عدد الكُتَّاب فوق الأربعين على حد تعبير بعض المحققين . وكان يكتب كل منهم ما تيسر له أو يسرته أحواله . وقد حصر النبي صلى الله عليه وسلم جهد هؤلاء الكُتَّاب في كتابة القرآن فمنع من كتابة غيره إلا في ظروف خاصة أو لبعض أناس مخصوصين كما في الحديث الصحيح : (لا تكتبوا عني شيئاً إلا القرآن ، فمن كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحاه)

ومما لا شك فيه أن عددًا من كبار الصحابة جمعوا القرآن كله في ذلك العهد ، منهم : علي بن أبي طالب ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن مسعود . ثم إن ثلاثة منهم عرضوا ما كتبوه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرؤوه ، فابن مسعود قرأ بمكة وعرض هناك ، وزيد قرأ بعده وكان عرضه متأخرًا عن الجميع ، وهو آخر العرض في العام الذي توفي صلى الله عليه وسلم ، وبقراءته كان يقرأ عليه الصلاة والسلام وكان يصلي إلى أن لحق بربه ولذلك اختار المسلمون ما كان هو الآخر ، وكان هناك عدد كبير من الصحابة - المهاجرين والأنصار - رضوان الله عليهم حفظوا القرآن كاملاً عن ظهر القلب.

ولكن مع هذا كله لا بد لنا أن نعترف بحقيقة وهي : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أعظم الناس حفظًا وأتقنهم تلاوة للقرآن ، وكان يتلوه عن ظهر القلب لا يفتر عنه ولا سيما في الليل ، حتى إنه ليقرأ في الركعة الواحدة العدد من السور الطوال ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض القرآن الكريم على أمين الأرض والسماء جبريل عليه السلام في كل عام مرة في شهر رمضان . يقول أبو هريرة رضي الله عنه فيما يرويه الإمام البخاري رحمه الله : (كان يعرض على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام مرة فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض ، وكان يعتكف كل عام عشرًا ، فاعتكف عشريين في العام الذي قبض)

تعريف القرآن الكريم لغة واصطلاحاً

إن لفظ القرآن في الأصل مصدر مشتق من قرأ " يقال قرأ قراءة وقرأناً ، ومنه قوله تعالى : { إن علينا جمعه و قرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه } . ثم نقل لفظ القرآن من المصدرية وجعل علمًا . قال الزرقاني في كتابه " مناهل العرفان " : أما لفظ القرآن فهو في اللغة مصدر مرادف للقراءة ثم نقل من هذا المعنى المصدرى وجعل اسماً للكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم من باب إطلاق المصدر على مفعوله ، ذلك مما نختاره استناداً إلى موارد اللغة وقوانين الاشتقاق.

واصطلاحاً: وأما تعريف القرآن اصطلاحاً فقد تعددت آراء العلماء فيه وذلك بسبب تعدد وجهات نظرهم.

ف قيل: " القرآن هو كلام الله المنزل على سيدنا النبي محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته المعجز ولو بسورة منه " .
وقيل: " هو كلام الله تعالى المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه والمنقول إلينا بالتواتر " .

وبعضهم يزيد على هذا التعريف قيوداً أخرى مثل : المعجز أو المتحدى بأقصر سورة منه أو المتعبد بتلاوته أو المكتوب بين دفتي المصحف أو المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس وما إلى ذلك .
أسلوبه

نزل القرآن منجماً في نحو ثلاث وعشرين سنة علي حسب ما يعرض من الحوادث ، منها ثلاث عشرة سنة في مكة نزل في خلالها ثلاث وتسعون سورة، وعشرة بالمدينة بعد الهجرة نزل فيها إحدى وعشرون. هذه السور المائة والأربع عشرة تختلف في موضوعها وأسلوبها باختلاف الزمان والمكان و الحادث. فكان من الحوادث و القضايا ما ينزل فيه الآية والآيات ومنها ما ينزل فيه السورة. وكان الصحابة يحفظون أو يكتبون ما ينزل كلنا على حدة. فلم يكن القرآن إذن خاضعاً لقانون التأليف من وحدة الموضوع ووحدة الأسلوب وعقد الأبواب علي مقتضى الأغراض، وإنما تجمّع على هذه الصورة ودون بعد وفاة الرسول تبعاً لما كان يجده الكاتبون أوّلاً فأوّلًا محفوظاً في الصدور أو مسطوراً في الصحف. ثم رتب بوجه التقرير علي حسب الطول والقصر لا علي حسب تنزيله ولا علي حسب موضوعه، فتكررت بعض القصص لتأكيد الإنذار أو لتشابه الأسباب، وتشبّنت وحدة الموضوع والأسلوب لنزوله متفرقاً في مكانين مختلفين وأزمان مترابطة وأعراض متجددة.

لغته:

لغة قريش هي الأصل في لغة القرآن، لأن النبي ولد فيهم وبعث منهم، ولأن لغتهم تفضل سائر اللغات بحلاوة الجرس ودقة الوضع وإحكام النظم، وقبيلتهم تشرف سائر القبائل بجوار البيت وسقاية الحاج وعمارة المسجد، وقد نزل القرآن والعربية في أكمل حالها من النضوج بعد أن مرت بمراحل التطوير المختلف، وبنزوله تم ضبط قواعدها وأساليبها وتراكيبها، بجانب لغة قريش وردت في القرآن لغة بني سعد بن بكر، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم استرضع فيهم، وهي إحدى لغات العجز من هوزان وأفصحها، لقوله صلى الله عليه وسلم " أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش، وأنى نشأت في بني سعد بن بكر " وجاء في القرآن بعض ألفاظ من لغات عربية أخرى كقوله تعالى " لا يلتكم من أعمالكم شيئاً " أي لا ينقصكم بلغة بني عبس، ثم وقع فيه من غير لسان العرب أكثر من مائة كلمة ترجع إلى لغات الفرس والروم والنبط والحبشة والعبران والسريان والقبط، كالجبت والإستبرق والسندس والقسطاس والزنجبيل، وقد صقلها العرب على لسانهم، وأجروها على أوزانهم، فصارت بذلك عربية.

أغراضه ومعانيه:

قد علمنا أن من القرآن ما نزل بمكة وما نزل بالمدينة . فالمكية من سوره يشتمل على أهم ما جاء الرسول من أجله، ففيه توحيد الله وصفاته وتمجيد آياته، وتأيد الرسول بتحدى المكابرين، وضرب الأمثال بأحوال الغابرين، ورفض الأوثان وما يتصل بها من عادات واعتقادات، وإثبات اليوم الآخر وما يتعلق به من جنة ونار وتبشير وإنذار، ثم الإذن لرسول الله أن يقاوم الشرك بالسيف.

وأما المدنية منها فتمتاز بوصف المغازي وذكر أسبابها، وما يستفيد منه المؤمنون من نتائجها وأعقابها، وسن الشرائع الدينية كالصلاة والزكاة والصوم والحج، والاجتماعية كالأحوال الشخصية والمعاملات المدنية والحقوق الجنائية، وما يترتب عليه من قصاص وحدود، وفي كل ذلك نرى الألفاظ مؤتلفة مع المعاني، والمعاني متفقة مع الأغراض، اتفاقاً دونه فن المنطق، لأنه تنزيل من حكيم حميد.

تأثيره:

شغل المسلمون بالقرآن وفرغوا له، فكان دعاءهم في المسجد، ونظامهم في البيت، ومنهاجهم في العمل، ودستورهم في الحكومة. فسرى هديه فيهم مسرى الروح ونزل وحيه منهم منزلة الطبع، وأثر في ألسنتهم وأفئدتهم وأنظمتهم ما لم يؤثره كتاب سماوي آخر في أهله. فأما تأثيره في اللغة وأدبها فإنه خالط من أقوام قلوباً قاسية فألأنها، وطباعاً جافية فأرقها، وأحلاماً طافية فأقرها، فكسب ذلك اللغة عذوبة في اللفظ، ورقة في التركيب، ودقة في الأداء، وقوة في المنطق، وثروة في المعاني، ووسع دائرة اللغة بتوليد الألفاظ والمصطلحات الدينية كالصلاة والزكاة والقيام والركوع والسجود والوضوء والمؤمن والكافر الخ. وانبتقت منه علوماً جديدة كالنحو والصرف والاشتقاق لدفع اللحن عنه، والمعاني والبيان والبديع لتقرير الإعجاز فيه، وعلمي اللغة والأدب لتفسير غريبه وتوضيح مشكله، والحديث وأصول الفقه والتفسير لاستنباط أحكام الشرع منه. وهو الذي ضمن بقاءها عبر القرون الغابرة،

ونشرها في مجاهل الأصقاع البعيدة ، مصداقا لقول الله تعالى: " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" وهذا الضمان الإلهي للقرآن صار أيضا للعربية. وتدوم العربية فوق الثرى ما دام القرآن يتلى ويرتل. ولا تمحوها أيدي الدهر.

قراءاته:

لم يكن امتزاج اللغات ولا اتحاد اللهجات تاما من كل وجه عند انبثاق نور الإسلام، وإنما بقي على نواحي الألسنة لحن مختلفة كالفتح والإمالة ، والإظهار والإدغام، والمد والقصر ، وتحقيق الهمز وتخفيفه ، وترقيق الحرف ، وضم الهاء والميم في نحو عليهم وإيهم. فلما نزل القرآن بلغة قريش ولهجتهم لم يستطع من عداهم من العرب أن يتغلبوا على فطرتهم اللغوية ولم يستطيعوا الانسجام مع لهجتهم ، فقرؤوه بلحنهم وأقرهم الرسول على ذلك تيسيرا للقراءة وتسهيلا على الناس.

فلما اختبلت الألسنة ، واضطربت السلائق ، وزاغت القلوب بعد اتساع الفتوح وانتشار العرب وانشعاب الفرق، نشأ من جهلهم بالهجاء، ومن شدة اختلافهم في المنطق والأداء ومن جرأة ذوي العلل والمراء، ثم تجرد قوم في المائة الأولى لضبط القراءات وحصر مجوهها وتبيين مذاهبها ، وجعلوها علما كما فعلوا يومئذ بالحديث والتفسير. واشتهر من هؤلاء ومن الطبقة التي وليتهم سبعة تنسب إليهم القراءات إلى اليوم وهم: عمرو بن العلاء (154) وعبد الله بن كثير(120) ونافع ابن نعيم (169) وعبد الله بن عامر(118) وعاصم بن بهدلة الأسدي(128) وحمزة بن حبيب الزيات(156) وعلى بين حمزة الكسائي (189) وتلك هي سبع القراءات المتفق على صحتها إجماعا وهناك ثلاث قراءات تليها في الصحة والتواتر وهي قراءة أبي جعفر المدني (132) وقراءة يعقوب بن إسحاق الحضرمي (185) وقراءة خلق بن هشام .

الباب الثاني

الإعجاز في القرآن الكريم

يعتبر المسلمون القرآن كلام الله وهو بذلك معجزة بحد ذاته، كما تشير إليه الآية: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ). سورة هود الآية 13. وقد أعجز القرآن كل العرب والعجم مرة أخرى وهو يقول:(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا). سورة الإسراء الآية 88 المعجزة لغة :

ما أعجز به الخصم عند التحدي ، كما ورد ذلك في القاموس المحيط، وهي أمر خارق للعادة يعجز البشر متفرقين أو مجتمعين عن الإتيان بمثله . يجعله الله على يد من يختاره لنبوته ، ليدل على صدقه وصحة رسالته. والله أيد أنبياءه ورسله بالآيات المعجزات، وقد أنعم الله على رسوله محمد بمعجزات كثيرة رآها الذين عاصروه، فأمن من آمن وكفر من كفر، ويمثل القرآن المعجزة الخالدة الباقية، اعترف بها المتقدمون ، وسيبقى إعجازا ما دامت السموات والأرض . ولم يأت ولن يأتِ الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وظهرت آيات بينات في إعجاز القرآن من الناحية اللغوية والبلاغية بينها الكثير من علماء اللغة قديماً وحديثاً وكتبوا المتون وألفوا الأسفار، ولا تزال المعجزة القرآنية تتجلى بصورة واضحة كلما يتقدم الزمن حتى يتبين للناس أنه هو كتاب الحق المبين.

ملاحح إعجازه:

تتناصرت الأدلة وانعقد الإجتماع على أن القرآن معجز، وإنما الخلاف في سبب إعجازه. فمن قائل إنه شرف الغرض، وتنوع القصد، والإخبار بالغيب. ومن قائل إنه الفصاحة الرائعة، والمذهب الواضح، والأسلوب الموثق. فإن القوم الذين تحدوا به لم يكونوا فلاسفة ولا فقهاء حتى يكون عجزهم عن الإتيان بمثله معجزة، إنما كانوا بلغاء مصادع، وخطباء مصاقع، وشعراء فحولاً. وفي القرآن من دقة التشبيه والتمثيل، وبلاغة الإجمال والتفصيل، وروعة الأسلوب وقوة الحجاح، ما يعجز طوق البشر، ويرمي المعارضين بالسكات والحصر.

والقرآن الكريم كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو المعجزة العظمى الباقية على مرور الدهور والأزمان، المعجز للأولين والآخرين إلى قيام الساعة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات على ما مثله آمن البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة. رواه مسلم

في كتاب الإيمان.

وليس المراد من هذا الحديث حصر معجزاته صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم، بل المراد أن القرآن الكريم هو المعجزة التي اختص بها دون غيره، لأن كل نبي أعطي معجزة خاصة به، تحدى بها من أرسل إليهم، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه، ولهذا لما كان السحر فاشياً في قوم فرعون، جاءهم موسى عليه السلام بالعصا على صورة ما يصنع السحرة، لكنها تلقف ما صنعوا، ولم يقع ذلك بعينه لغيره.

ولما كان الأطباء في غاية الظهور، جاء عيسى عليه السلام بما حير الأطباء من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وكل ذلك من جنس عملهم ولكن لم تصل إليه قدرتهم. ولما كانت العرب أرباب الفصاحة والبلاغة والخطابة؛ جعل الله عز وجل معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد: فصلت: 42). وتتميز معجزة القرآن الكريم عن سائر المعجزات، لأنه حجة مستمرة باقية على مر العصور، والبراهين التي كانت للأنبياء انقرض زمانها في حياتهم ولم يبق منها إلا الخبر عنها، أما القرآن الكريم فلا يزال الحجة البالغة، لذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة.

والقرآن الكريم آية بينة، معجزة من وجوه متعددة من جهة اللفظ، ومن جهة النظم والبلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أمر بها ومعانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته، وغير ذلك من الوجوه الكثيرة التي ذكر كل عالم ما فتح الله عليه منها، ومن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم:

الإعجاز البياني والبلاغي

من الإعجاز القرآني ما اشتمل عليه من البلاغة والبيان والتركيب المعجز ، الذي تحدى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله فعجزوا عن ذلك كما يقول تعالى : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً : الإسراء:88)

وقال تعالى : (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون ، فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين :الطور:33-34). فلم يستطيعوا الإتيان بمثله - وأنى لهم ذلك - ولم يكونوا من الصادقين: وتحداهم أن يأتوا بعشر سوره مثله.. (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سوره مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين:هود:13). وعجزوا أيضاً عن ذلك : فأفسح لهم في التحدي (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين : البقرة:23-24)

وثبت التحدي في هذه الآية للعرب المعاصرين لنزول القرآن الكريم ولمن يأتي بعدهم إلى آخر الزمان وأكد التحدي ، وقطع بعجزهم بالآية السابقة: قل لئن اجتمعت الإنس والجن ... الخ

الإخبار عن الغيوب

مما يدل على أن القرآن الكريم معجزة من عند الله العلي القدير ، اشتماله على أخبار كثيرة من الغيوب التي لا علم لأحد من المخلوقين بها ، ولا سبيل لبشر أن يعلمها

والإخبار بالغيب أنواع:

النوع الأول : ما حدث في الماضي ، ويتمثل في قصص الأنبياء السابقين وأقوامهم ، وما أخبر به الله عن الأزمان الغابرة وبداية الخلق.
النوع الثاني : ما يحدث في الحاضر : وهو الذي أخبر الله رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم مما يجري حوله مثل كشف أسرار المنافقين ، والأخطاء التي وقع فيها بعض المسلمين ، أو غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله وأطلع عليه رسوله.
النوع الثالث : غيوب المستقبل : وذلك حين أخبر الله رسوله بأمور لم تقع ، ثم وقعت كما أخبر ، وعلى أمور سوف تحدث في الأزمان والقرون التالية والتي سوف تأتي بعد ذلك ، مما يجتهد العلماء في فهمه وتأويله.

الإعجاز التشريعي

جاء القرآن الكريم هداية الإنس والجن، على أن يتبعوه ويعملوا بتشريعاته ، التي تفي بحاجات جميع البشر في كل زمان ومكان، لأن الذي أنزله هو العليم بكل شيء ،خالق البشر ، الخبير بما يصلحهم وما يفسدهم ، وما ينفعهم وما يضرهم ، فإذا شرع أمراً جاء في أعلى درجات الحكمة والخبرة (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير: الملك:14) وبمجرد الوقوف على الأنظمة والقوانين البشرية التي يقننها الإنسان من وقت لآخر،

ندرك فضل الآيات القرآنية ومدى مطابقتها في الحياة اليومية، لأن القوانين البشرية - الدولية منها والمحلية - لم تعد قادرة لمعالجة المشكلات البشرية الطارئة ومسايرة الأوضاع والأزمات والأحوال ، مما يضطر أصحابها إلى الاستمرار في التعديل والزيادة والنقص ، فيلغونَ غداً ما وضعوه اليوم ، لأن الإنسان محل النقص والخطأ ، وهو جاهل بأسرار النفس البشرية ، وبما يحدث في أوضاع الإنسان وأحواله المختلفة ، وبما يصلح البشرية في كل عصر . وصدق من قال: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) فهذا هو الدليل الحي الشاهد على عجز جميع البشر عن الإتيان بأنظمة تصلح الخلق وتقوم أخلاقهم ، وعلى أن القرآن الكريم كفيل برعاية مصالح العباد دون خلل . وهدايتهم إلى كل ما يصلح أحوالهم في الدنيا والآخرة إذا تمسكوا به واهتدوا بهديه.

قال تعالى : (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً: الإسراء:9) وتتميز الشريعة الإسلامية الغراء التي تتمثل في كتاب الله تعالى مدارها على ثلاث مصالح : المصلحة الأولى : درء المفسدات عن ستة أشياء : حفظ الدين والنفس والعقل والبدن والعرض والمال.

المصلحة الثانية : جلب المصالح في جميع الميادين وسد كل ذريعة تؤدي إلى الضرر. المصلحة الثالثة : الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات ، ولم يترك القرآن الكريم جانباً من الجوانب التي يحتاجها البشر في الدنيا والآخرة إلا ووضع لها القواعد وهدى إليها بأقوم الطرق وأعدلها ، وإذا دققنا النظر وأمعنا الفكر لوجدنا أن به الحلول لجميع المشاكل العالمية التي عجز البشر عن إيجاد الحلول الحاسمة لها .

الإعجاز العلمي الحديث

ويتصل بما ذكر من إعجاز القرآن الكريم في إخباره عن الأمور الغيبية المستقبلية ، نوع جديد كشف عنه العلم في العصر الحديث ، مصداقاً لقوله تعالى : (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد: فصلت:53) وقد تحقق هذا الوعد في الأزمنة الأخيرة ، فرأى الناس آيات الله في الآفاق ، وفي جسم الإنسان وأجسام باقي المخلوقات وأنظمتها الحيوية ، بأدق الأجهزة وأحدث الوسائل ، التي لم يتم اختراعها إلا في العصر الحديث.

الباب الثالث

جمعه وتدوينه:

نزل القرآن منجماً كما قلنا في ثلاث وعشرين سنة لوقائع موجبة وأحوال داعية . وأعلن ختامه في السنة العاشرة من الهجرة قبل وفاة الرسول بثلاثة أشهر، وبعد أن رتب آيه وتمت سوره ، إلا أنها لم تجمع في مصحف واحد في حياته، وإنما توفي رسول الله والقرآن إما مسطور في العصب واللخاف والأكتاف، وإما مذكور على أسنة الصحابة ولما قتل من قرائه سبعون في غزوة اليمامة ، فزع المسلمون وأشفق عمر أن يذهب القرآن بذهاب حفاظه، فتقدم إلى أبي بكر في جمعه. فتردد الخليفة وقال: " كيف أفعل أمراً لم يفعله رسول الله ولم يعهد إلينا

فيه عهداً!" فما زال عمر يداوره حتى أقنعه . وعهد بذلك إلى زيد بن ثابت أحد كتبة الوحي وصاحب العرضة الأخيرة على الرسول، فجمعه من السطور والصدور. وكتبه صحفاً أودعت عند أبي بكر وعند عمر من بعده. ثم كانت هذه الصحف في خلافة عثمان عند حفصة بنت عمر زوج النبي. فلما اتسعت رقعة الدولة وانتشر القراء في الأرض اختلفوا في قراءاتهم اختلفهم في لهجاتهم، وفخر بعضهم على بعض بحسن قراءته وصدق روايته ، فخشي عثمان أن يختلفوا في دلالاته كما اختلفوا في تلاوته، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام، فنسخوا تلك الصحف في مصحف واحد ورتبوا سوره على الطول والقصر، واقتصروا فيه على لغة قريش لنزول القرآن بها، وأمر عثمان الناس أن يكتبوا مصاحف من هذا المصحف، وبعث في كل أفق بواحد منها، وكانت سبعة فأرسلها إلى مكة والشام واليمن والبحرين والبصرة والكوفة وحبس بالمدينة واحداً، وهو مصحف المسمى بالإمام، ثم أمر بجمع ما عدا ذلك فأحرق.

جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان (ر)

عندما اتسعت الفتوحات الإسلامية انتشر الصحابة رضي الله عنهم في البلاد المفتوحة يعلمون أهلها القرآن وأمور الدين وكان كل صحابي يُعلم بالحرف الذي تلقاه من الأحرف السبعة فكان أهل الشام يقرأون بقراءة أبي بن كعب رضي الله عنه ، فيأتون بما لم يسمع أهل العراق ، وإذا كان أهل العراق يقرأون بقراءة عبد الله بن مسعود ويأتون بما لم يسمع أهل الشام يكفر بعضهم بعضاً .

وعندما اتجه جيش المسلمين لفتح (أرمينية) و(أذربيجان) وكان الجنود من أهل العراق وأهل الشام فكان الشقاق والنزاع يقع بينهم ورأى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه اختلافهم في القراءة، وبعض ذلك مشوب باللحن مع إعجاب كل منهم بقراءته واعتياده عليها واعتقاده أنها الصواب وما عداها تحريف وضلال حتى كفر بعضهم بعضاً فأفرع هذا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فقال والله لأركبن إلى أمير المؤمنين (يعني عثمان بن عفان رضي الله عنه) وكان عثمان قد رأى نحو هذا في المدينة فقد كان المعلم يُعلم بقراءة والمعلم الآخر يعلم بقراءة فجعل الصبيان يلتقون فينكر بعضهم قراءة الآخر فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه فقام خطيباً وقال : (أنتم عندي تختلفون فيه فتلحنون فمن نأى عني من الأمصار أشد فيه اختلافاً وأشد لحناً ، اجتمعوا يا أصحاب محمد ، واكتبوا للناس إماماً) .

فلما جاء حذيفة إلى عثمان رضي الله عنهما وأخبره بما تحقق عند عثمان ما توقعه ، وقد روى البخاري في صحيحه قصة ذلك الجمع في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يُغازي أهل الشام في فتح (أرمينية) و(أذربيجان) مع أهل العراق فأفرع حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان) .

وكان ذلك في أواخر سنة 24 وأوائل سنة 25 كما قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى حيث فكر الخليفة عثمان بن عفان في جمعه. ولما سمع ما سمع وأخبره حذيفة رضي الله عنه بما رأى، استشار الصحابة فيما ينبغي أن يفعل ، فقد روى ابن أبي داود بإسناد صحيح - كما يقول ابن حجر - من طريق سويد بن غفلة ما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حق عثمان (يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيراً في المصاحف .. فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منّا جميعاً ، قال ما تقولون في هذه القراءة ؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول إن قراءتي خير من قراءتك ، وهذا يكاد أن يكون كفرًا ، قلنا : فما ترى ؟ قال : نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف . قلنا : فنعم ما رأيت .. قال علي : والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل) .

اللجنة المختارة :

اختار عثمان رضي الله عنه أربعة من كبار الصحابة لنسخ المصاحف هم : زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام. فقد سأل عثمان رضي الله عنه الصحابة : من أكتب الناس ؟ قالوا : كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت قال : فأبي الناس أعرب ؟ وفي رواية أفصح . قالوا : سعيد بن العاص ، قال عثمان : فليمل سعيد ، وليكتب زيد .

المنهج في هذا الجمع : بعد أن اتفق عثمان مع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين على جمع القرآن على حرف واحد سلك منهجاً فريداً وطريقاً سليماً أجمعت الأمة على سلامته ودقته. فبدأ عثمان رضي الله عنه يخطب في الناس فقال : (أيها الناس عهدكم بنببيكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون في القرآن وتقولون (قراءة أبي) (قراءة عبد الله) يقول الرجل (والله ما تقيم قراءتك) !! وأمر كلا منهم أن يأتوا ما لديهم من كتاب الله ، وكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن حتى جمع من ذلك كثرة ، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلاً فناشدهم ، لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أملاه عليك ؟ فيقول نعم)

وأرسل عثمان رضي الله عنه إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهما أن أرسلني إلينا بالمصحف ننسخها في المصاحف ثم نعيدها إليك ، فأرسلت بها إليه ، ومن المعلوم أن هذه الصحف هي التي جمعت في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أدق وجوه البحث والتحري .

ثم دفع ذلك إلى زيد بن ثابت والجماعة المرافقة له، وأمرهم بنسخ مصاحف منها وقال لهم عثمان (إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم) .

إذا تواتر في آية أكثر من قراءة تكتب الآية خالية من آية علامة تقصّر النطق بها على قراءة واحدة فتكتب برسم واحد يحتمل القراءتين أو القراءات فيها جميعاً للمثل:

أ. (فتبينوا) التي قرأت أيضاً فتثبتوا .

ب. (ننشرها) قرأت أيضاً ننشرها .

أما إذا لم يكن رسمها بحيث تحتمل القراءات فيها فتكتب في بعض المصاحف برسم يدل على قراءة ، وفي مصاحف أخرى برسم يدل على القراءة الأخرى مثل أ . (ووصى بها إبراهيم) هكذا تكتب في بعض المصاحف وفي بعضها وأوصى . ب . (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم) بواو قبل السين في بعض المصاحف وفي بعضها بحذف الواو .

وبعد الفراغ من نسخ المصاحف بعث عثمان بنسوخ منها إلى الأمصار الإسلامية حيث نشط المسلمون في نسخ مصاحف منها للأفراد وكان زيد بن ثابت في المدينة يتفرغ في رمضان من كل سنة لعرض المصاحف فيعرضون مصاحفهم عليه وبين يديه مصحف أهل المدينة .

مزاي جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه

تميز هذا الجمع بمزاي عديدة منها :

1. الاقتصار على حرف واحد من الأحرف السبعة ، قال ابن القيم رحمه الله : (جمع عثمان رضي الله عنه الناس على حرف واحد من الأحرف السبعة التي أطلق لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القراءة بها لما كان ذلك مصلحة) .
2. إهمال ما نسخت تلاوته :

فقد كان قصد عثمان رضي الله عنه جمع الناس على مصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل أثبت مع تنزيل ، ولا منسوخ تلاوته كُتِبَ مع مُثَبَّتِ رسمه ، ومفروض قراءته وحفظه ، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعده .

3. الاقتصار على ما ثبت في العريضة الأخيرة وإهمال ما عداه :
- فقد روى ابن أبي داود في المصاحف عن محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال : لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار فيهم أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت قال فبعثوا إلى الربيعة التي في بيت عمر فجئ بها ، قال وكان عثمان يتعاهدهم فكانوا إذا تدارأوا في شيء أخروه ، قال محمد : فقلت لكثير وكان منهم فيمن يكتب : هل تدرون لم كانوا يؤخرونه ؟ قال : لا ، قال محمد : فظننت ظناً إنما كانوا يؤخرونها لينظروا أحدثهم عهداً بالعريضة الأخيرة فيكتبونها على قوله .
4. الاقتصار على القراءات الثابتة المعروفة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وإلغاء ما لم يثبت .

5. كان مرتب الآيات والسور على الموجه المعروف الآن ، قال الحاكم في المستدرک : (إن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة ، فقد جُمع بعضه بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم جمع بعضه بحضرة أبي بكر الصديق ، والجمع الثالث هو في ترتيب السور وكان في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين) .

[

الفروق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان رضي الله عنهما :

كان معنى (الجمع) ظاهراً في جمع القرآن في عهد أبي بكر فقد كان القرآن مفزراً فأمر بجمعه كما قال المحاسبي : (كان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها القرآن منتشر ، فجمعها جامع ، وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء) . إذا فمعنى الجمع فيه ظاهر لا يحتاج إلى تفريق بينه وبين الجمع في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، لكن الإشكال واللبس هو في الجمعين الثاني والثالث ، إذ كيف يأمر عثمان بجمع القرآن وهو مجموع في عهد أبي بكر رضي الله عنهما ؟ ولذا فإن العلماء يولون التفريق بين جمع القرآن في عهد أبي بكر وجمعه في عهد عثمان عنايتهم لإزالة هذا اللبس ، ويذكرون فروقاً :

قال القاضي أبو بكر في الانتصار : (لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع القرآن بين لوحين وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم وإلغاء ما ليس كذلك) وقال ابن التين وغيره : (الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته لأنه لم يكن مجموعاً في أي موضع واحد فجمعه في صحائف مرتباً لأيات سوره على ما وقفهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرؤوه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض فخشى من تفاقم الأمر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره ، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجاً بأنه نزل بلغتهم .

ومن هذين النصين نستطيع أن نستخلص أهم الفروق وهي :

- أن الباعث لجمع القرآن في عهد أبي بكر كان خوفه وقلقه في ذهاب شيء من القرآن بذهاب حفظته، وذلك حين تفاقم الشر الذي أدى إلى قتل القراء في حروب الردة ، أما جمعه في عهد عثمان فلكثر الاختلاف في وجوه القراءة .
- أن جمع أبي بكر على الأحرف السبعة ، أما جمعه في عهد عثمان فقد كان على حرف واحد .
- أن جمع أبي بكر كان مرتب الآيات ، أما جمع عثمان فقد كان مرتب الآيات والسور .

إنفاذ المصاحف :

بعد أن أتمت اللجنة نسخ المصاحف أنفذ عثمان إلى آفاق الإسلام ينسخ منها وأرسل مع كل مصحف من يوافق قراءته فأمر زيد بن ثابت أن يقرأ بالمديني وبعث عبد الله بن السائب مع المكي والمغيرة بن شهاب مع الشامي وأبا عبد الرحمن السلمي مع الكوفي وعامر بن عبد القيس مع البصري وتلقى التابعون في كل قطر قراءة إمامهم وتفرغ قوم منهم لضبط القراءات حتى صاروا أئمة يُرحل إليهم.

الباب الرابع

مميزات المكية والمدنية

استقر العلماء السور المكية والسور المدنية، واستنبطوا قياسية كل منهما ، تبين خصائص الأسلوب والموضوعات التي يتناولها . وأخرجوا من ذلك بقواعد و مميزات .

الآيات المكية

إن الآيات المكية هي الآيات القرآنية التي نزلت في عهد الدعوة المكية أي قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم، لذا يقسم القرآن الكريم إلى آيات مكية وآيات مدنية أي ما نزل قبل الهجرة النبوية وما نزل بعدها.

نجد أن كثيرا من السور القرآنية نزلت متفرقة فبعض أجزاءها نزل في مكة أولا ثم تتابع نزولها في المدينة، مع ذلك فإن علماء الفرقان يضعون علامات مميزة لكلا النوعين فالمكية تركز أساسا على ذكر الجنة والنار، الثواب والعقاب والتذكير بالآخرة وزرع الإيمان وبعض قصص الأنبياء. في حين نجد المدنية تركز بشكل أساسي على التشريعات وتنظيم أمور المسلمين بعد تشكل المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة

الميزات

- الدعوة إلى التوحيد الخالص والإيمان بالبعث والحساب والجنة والنار
- تحدي العرب للإتيان بسورة من مثله
- تقريع ومحاججة المشركين والكافرين
- سرد قصص الأمم الغابرة الهالكة مثل عاد وثمود
- التحذير من الشرك بالله كدعاء غيره (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك)
- الكثير من الآيات المكية قصيرة نسبيا كما في سور آخر المصحف بينما أطول آية في القرآن (آية الدين) مدنية

ضوابط المكي و مميزات الموضوعية:

- 1 كل سورة فيها سجدة فهي مكية
- 2 كل سورة فيها لفظ (كلا) فهي مكية، ولم ترد إلا في النصف الأخير من القرآن. وذكرت ثلاثا و ثلاثين مرة في خمس عشرة سورة
- 3 كل سورة فيها (يا أيها الناس) وليس فيها (يا أيها الذين آمنوا) فهي مكية، إلا سورة الحج ففي أواخرها(يا أيها الذين آمنوا اركعوا أو اسجدوا) ومع هذا فإن كثيرا من العلماء يرون أن هذه الآية مكية كذلك.
- 4 كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة فهي مكية سوي البقرة
- 5 كل سورة فيها قصص آدم وإبليس فهي مكية سوي البقرة كذلك
- 6 كل سورة تفتتح بحروف التهجي ك " ألم" و " الر" و " حم" ونحو ذلك فهي مكية سوي الزهراوين : وهما البقرة وآل عمران،

هذا من ناحية الضوابط، أما من ناحية المميزات الموضوعية وخصائص الأسلوب فيمكن إجمالها فيما يأتي:

- 1 الدعوى إلى التوحيد وعبادة الله وحده، وإثبات الرسالة ، وإثبات البعث والجزاء ، وذكر القيام وهولها ، والنار وعذابها ، و الجنة و نعيمها، ومجادلة المشركين بالبراهين العقلية، والآيات الكونية
- 2 وضع الأسس العامة للتشريع والفضائل الأخلاقية التي يقوم عليها كيان المجتمع ، وفضح جرائم المشركين في سفك الدماء، وأكل أموال اليتامى ظلماً، ووأد البنات ، وما كانوا عليه من سوء العادات
- 3 ذكر قصص الأنبياء و الأمم السابقة زجراً حتى يعتبروا بمصير المكذابين قبلهم، وتسلياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يصبر على أذاهم و يطمئن إلى الانتصار عليهم
- 4 قصر الفواصل مع قوة الألفاظ، وإيجاز العبارة ، ويشدد قرعه على المسامع، و يصعق القلوب ، ويؤكد المعنى بكثرة القسم، كقصار المفصل إلا نادراً.

الآيات المدنية

هي ما نزل من القرآن بعد الهجرة، ولو كان نزوله في غير المدينة المنورة. فمثلاً قول القرآن: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً" «3- سورة المائدة» يعتبر من المدنية مع أن نزولها كان بعرفة في حجة الوداع. وهناك تعريفات أخرى لا تسلم من الاعتراضات، منها : أن المدنية ما نزل بالمدينة، والمكية ما نزل بمكة، والسبب في ضعف هذا التعريف أن هناك آيات لم تنزل لا في مكة ولا في المدينة وإنما نزلت في أماكن أخرى كالحديبية مثلاً وبدر وأحد وتبوك وغيرها.

السبيل إلى معرفته

ولا سبيل لمعرفة المكية والمدنية من القرآن إلا عن طريق الروايات المنسوبة إلى الصحابة، لأنهم هم الذين عاصروا نزول القرآن، وعرفوا زمان نزوله وملابسات هذا النزول. قال القاضي ابن الباقلاني في الانتصار: "إنما يرجع في معرفة المكية والمدنية إلى حفظ الصحابة والتابعين، ولم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك قول لأنه لم يؤمر به، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة"

الميزات

هناك ميزات عامة للسور المدنية منها:

- خطاب (يا أيها الذين آمنوا)، بينما يكثر في المكية (يا أيها الناس)
- الدعوة إلى القتال وذكر الجهاد
- تفصيلات أحكام الإسلام من حج وهدى السرقة وإرث مما يحتاج إليه مجتمع مدني مسلم
- الرد على أهل الكتاب وإقامة الأدلة عليهم مثل (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً) (وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده) سورة آل عمران
- ذكر المنافقين وخصالهم
- الفرائض والحدود
- تتكلم عن التشريعات كالطلاق والزواج الخ

ضوابط المدنية وميزاته الموضوعية:-

- 1 كل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية
- 2 كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية سوي العنكبوت فإنها مكية
- 3 كل سورة فيها مجادلة أهل الكتاب فهي مدنية

هذا من ناحية الضوابط، أما من ناحية المميزات الموضوعية وخصائص الأسلوب فيمكن إجمالها فيما يأتي

- 1 بيان العبادات، و المعاملات، والحدود، ونظام الأسرة، والمواريث وفضيلة الجهاد، والصلوات الاجتماعية، والعلاقات الدولية في السلم الحرب، وقواعد الحكم، ومسائل التشريع.
- 2 مخاطبة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ودعوتهم إلى الإسلام، وبيان تحريفهم لكتب الله، و تجنيهم علي الحق، واختلافهم من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم
- 3 الكشف عن سلوك المافقين، وتحليل نفسياتهم، وإزاحة الستار عن خباياهم، و بيان خطرهم علي الدين
- 4 طول المقاطع والآيات في أسلوب يقرر الشريعة و يوضع أهدافها ومراميها

الباب الخامس

التفسير والتأويل

يحتل علم التفسير مكانة سامية من بين العلوم الإسلامية ويعد من العلوم المهمة والأساسية في نظر كافة المسلمين وهو من أشرف العلوم وأرفعها: لأن موضوعه كلام الله تعالى وفائدته والغرض منه فهم كلامه تعالى الذي هو العروة الوثقى وجميع العلوم الشرعية والمعارف الدينية المستمدة من كتاب الله تعالى. فال تفسير اسم لعلم من أهم العلوم و المعارف الإسلامية، وأكثرها أثرا في حياة الأمة الفكرية والتشريعية والاجتماعية وغيرها من مجالات الحياة.

التفسير

التفسير لغة: يطلق ويراد به الإيضاح والتبيين ومنه قول الباري عن وجل (ولياتونك بمثل الا جنناك بالحق وأحسن تفسيراً) أي بيانا وتفصيلا.
وقال صاحب القاموس: التفسير كشف المغطي . ويطلق ويراد به التعرّية أي كشف الشيء ومنه نقول فسرت الفرس اذا عربتها للجري.
وقيل مأخوذة من السفر كجيد من الجذب ومعناه الكشف والظهور، يقال أسفر الصبح إذا ظهر، وأسفرت المرأة عن وجهها اذا كشفته.

- واصطلاحاً : اختلف العلماء في تعريف التفسير الاصطلاحي، فتعددت التعاريف وتباينت الالفاظ وتقاربت المعاني، ومن أظهر هذه التعاريف ما يلي:
- 1- هو علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمت ذلك.
- شرح التعريف: قولنا علم : جنس يشمل سائر العلوم من تفسير وحديث وطب وفلك وهندسة وغيرها من العلوم.
- وقولنا: يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم فهذا علم القراءات.
- وقولنا: ومدلولاتها: أي مدلولات تلك الألفاظ وهذا يعني معرفة اللغة ومعاني الألفاظ.
- وقولنا: وأحكامها الإفرادية والتركيبية فهذا يضم علم الصرف والنحو والبلاغة .
- وقولنا :التي تحمل عليها حالة التركيب فهذا يحتوي على ما دلالاته عليه حقيقة وما دلالاته عليه بالمجاز.
- وقولنا تتمت ذلك : يشمل الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول.
- 2- وعرفوه بأنه علم يبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية .

التأويل

التأويل لغة : مأخوذ من الأول وهو الرجوع ، فتقول آل إليه أولاً ومآلاً رجع إليه، وآل عنه ارتد عنه، وأولت الكلام تأويلاً وتأولته قدرته وفسرته ،

وقد ورد التأويل في القرآن الكريم بمعان مختلفة، فمن ذلك قول الباري عزجل:

(فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله). أي لا يعلم تفسيره والمراد منه إلا الله تبارك وتعالى.

وقوله تعالى: (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً) أي عاقبة ومصيراً.

وجاء بمعنى تعبير الرؤيا قال عز من قائل (هذا تأويل رؤياي من قبل) . وقوله تعالى (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) . أي المقصود من الرؤيا وتعبيرها.

واصطلاحاً: يطلق التأويل في الاصطلاح ويراد به أحد المعنيين.

المعنى الأول: يطلق ويراد به تفسير الكلام وبيان المراد منه سواء وافق الظاهر أم لم يوافق، فيكون بهذا المعنى مرادفاً للتفسير، ولذلك قالوا: تأويل هذه الآية كذا وكذا وتقول قال أهل التأويل كذا وكذا أي أهل التفسير.

المعنى الثاني: هو نفس المعنى المراد ، والمقصود من الكلام، فإذا كان الكلام طلباً فالأمر المطلوب هو تأويله ، وإذا كان خبراً فإن تأويله نفس الخبر المخبر عنه. فلو قلت جاء زيد كان تأويله نفس الخبر، وهو مجيء زيد.

ومعنى التأويل عند المتأخرين من الفقهاء والمحدثين وغيرهم:

لقد اتفق هؤلاء جميعا على أن التأويل عبارة عن صرف اللفظ عن المعنى الراجح على المعنى المرجوح ، وذلك بدليل يدل على أن المراد منه هو المعنى الذي عدل إليه. ومن هنا لزم الشخص المؤول أمرين:

الأمر الأول: أن يبين احتمال اللفظ للمعنى الذي حمله عليه وادعى أنه المراد منه. الأمر الثاني: أن يبين الدليل الذي أوجب صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح وإذا لم يبين ذلك كان التأويل تأويلا فاسدا وتلاعبا بالنصوص.

الفرق بين التفسير والتأويل

اختلف العلماء في التمييز بين التفسير والتأويل اختلافا كبيرا، في هل التفسير هو التأويل بالذات أم هما متغايران..؟

فقال بعضهم: التفسير والتأويل سيات ولا فرق بينهما وإنما مجرد لفظين لمعنى واحد وهذا القول هو الذي كان شائعا عند المفسرين القدامي. وقال بعضهم: إن التفسير أعم من التأويل ، وغالبا ما يطلق التفسير على بيان الألفاظ، بينما يطلق التأويل على المعاني. وقيل إن التفسير: هو القطع على أن المقصود من كلام الله تعالى كذا وكذا. والشهادة عليه بذلك، فإن قام الدليل القطعي بذلك فهذا صحيح: وإذا لم يكن هناك دليل فهو التفسير بالرأي وهو المنهى عنه.

أما التأويل فهو عبارة عن ترجيح أحد المعاني المحتملة دون القطع والشهادة على الله تعالى بأنه أراد من كلامه هذا. وعلى هذا فإن التفسير غير التأويل.

وقيل التفسير ما كان متعلقا بالرواية ، وأما التأويل فهو ما كان متعلقا بالدراية. وقالو إن التفسير هو عبارة عن المعاني التي نستفيدها من وضع العبارة ، أما التأويل فهو المعاني المستفادة من الإشارة ، وهذا التعريف هو الذي درج عليه المفسرون المتأخرون. نكتفي بهذه الأقوال عن التفسير والتأويل . ولو أمعنا النظر نستطيع أن نقول: أن هناك تباينا وتمائزا بين التفسير والتأويل، وذلك لأن التفسير كما في التعريف معناه الكشف والكشف عن مراد الله تعالى لا نستطيع التوصل إليه جازمين عن طريق العقل ولكن ذلك يتم عن طريق الرواية عن الرسول (ص) الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، أو عن طريق أحد الصحابة الذين شاهدوا النزول وعايينوه وعرفوا الأسباب واستمعوا إلى الرسول(ص) وهو يبين لهم معاني القرآن العظيم.

أما التأويل فإنه لما كان عبارة عن ترجيح أحد المعاني المحتملة، فهذا يدرك بالعقل، وذلك بواسطة معرفة اللغة العربية ومستلزماتها ومعانيها: من حقيقة ومجاز، كما يشترط لها معرفة أساليب اللغة كي يستطيع التوصل إلى استنباط المعاني بمساعدتها وبالحس المرهق والذوق السليم.

فالتأويل والتفسير تجربتان تشيران إلى سعي القارئ لفهم النص بإعادة بناء تاريخي موضوعي للنص من خلال تجربة التفسير، ثم يأتي دور المؤول الذي يفهم اللغة بوصفها منظومة دلالية تتجاوز البنى الإجرائية معتمدا علي رموز ودلائل قابلة للتجدد ، ومع كل

قراءة تأويل جديد، وقد ذهب اللغويون وبعض المفسرين إلى أن التفسير فيه قطعية الدلالة، في حين التأويل ليست فيه هذه القطعية.

وفي الخلاصة :

كان التأويل في استعمال السلف مترادفا مع التفسير ، وقد دأب عليه أبو جعفر الطبري في جامع البيان لكنه في مصطلح المتأخرين جاء متغايراً مع التفسير.

التفسير رفع الإبهام عن اللفظ المشكل، فمورده : إبهام المعنى بسبب تعقيد حاصل في اللفظ وأما التأويل فهو دفع الشبهة عن المتشابه من الأقوال والأفعال، فمورده حصول شبهة في قول أو عمل، أوجبت خفاء الحقيقة ، فالتأويل إزاحة هذا الخفاء.

تفسير القرآن للقرآن

إن خير وأصدق من فسر القرآن هو القرآن نفسه، ولكن هذا لا يعني أن القرآن فسر جميع القرآن ، فالناظر في القرآن الكريم يشاهد أن فيه الإيجاز والإطناب وفيه الإطلاق والتقييد والعام والخاص، وقد يلاحظ أن ما جاء مطلقاً في سورة ربما جاء مقيداً في سورة أخرى، لذا كان لزاماً على من أراد أن يخوض غمار التفسير أن يبدأ – قبل كل شيء- في جميع كل ما تكرر من ذكر الحادثة أو القصة ويقابل الآيات بعضها ببعض ليستعين بما جاء مسهباً على معرفة ما جاء موجزاً، وكذلك يفهم ما جاء مبهماً بواسطة ما جاء مبيناً وبهذا يكون قد فسر القرآن بالقرآن.

ومن الجدير بالذكر أن الإنسان مهما أوتي من قوة البيان وحصافة الرأي ورجاحة العقل لا يمكن أن يستغنى عن تفسيرات القرآن بعضه لبعض ويتعدها إلى غيرها لأن صاحب الكلام أدري بالمقصود منه من غيره.

وإليك بعض أمثلة تفسير الآيات بعضها ببعض:

فمن ذلك ما نشاهده في سورة الغافر حيث قال تعالى: (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن نبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) قد فسرها قول الباري عز وجل في سورة كاملة وهي سورة يوسف التي تشتمل على وصف دقيق لحياة نبي الله يوسف منذ أن كان طفلاً حتى شب والظروف والأحوال التي عاش فيها وكيف تقبل بين العسر اليسر وبين الفرج والكرب.

ومن ذلك ما نشاهده في سورة النساء حيث قال تعالى: (ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً) فقد فسرها قول الباري عز وجل في نفس السورة بأهل الكتاب ، وذلك حيث قال تعالى : (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل)

وكذلك المتتبع لقصة موسى وفرعون في القرآن العظيم يشاهد أنها مقتضبة وموجزة في بعض السور بينما يراها مطولة ومفصلة في سورة أخرى فقد قال تعالى : (هل أتاك حديث موسى- إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى- اذهب إلى فرعون إنه طغى- فقل هل لك إلى أن

تزكى- وأهديك إلى ربك فتخشى فأراه الآية الكبرى فكذب وعصى ثم أدبر يسعى فحشر فنادى، فقال أنا ربكم الأعلى- فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) فقد فسرها قول البارى عز و جل في سورة القصص وذلك من الآية الثالثة إلى الآية الرابعة والأربعين وذلك : (نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون) إلى قوله تعالى (وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين.

وهكذا فإن المتدبر لكتاب الله العزيز يشاهد فيه كثيراً من الآيات تأتي مفسرة لآيات أخرى، لذا فإن الشخص المتصدي للتفسير لا بد له أن يطلع على تفسير القرآن للقرآن أولاً وقبل كل شيء.

تفسير القرآن بالسنة

وكما فسر القرآن بعضه ببعض فكذلك جاءت السنة مفسرة لكثير من القرآن ، وإذا رجعنا إلى كتاب الله تبارك وتعالى وجدناه يشهد بذلك فقد قال تعالى(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) وقوله تعالى (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) وقوله تعالى (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)

وروي عن طاووس أنه كان يصلى ركعتين بعد العصر فقال ابن عباس اتركهما ، فقال إنهما نهى عنهما يعنى رسول الله (ص) أن تتخذا سنة ، فقال ابن عباس قد نهى رسول الله (ص) عن الصلاة بعد العصر فلا أدري اتعذب عليهما أم تؤجر لأن الله تعالى قال (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)

فهذا القرآن الكريم يبين لنا أن الرسول (ص) هو خير من يبين القرآن ، ولو تتبعنا السنة لوجدناها فسرت كثيراً من آي القرآن فقد قال(ص) (ألا وإني قد أوتيت القرآن ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي ولا أكل ذي ناب من السباع)

ومن أمثلة ذلك ما روي عن الرسول (ص) أنه قال : إن الصلاة الوسطى صلاة العصر ، وتفسيره (ص) لقوله تعالى (وألزمهم كلمة التقوى) قال: لا إله إلا الله. فللسنة أثر عظيم في إظهار المراد من الكتاب وفي إزالة ما قد يقع في فهمه من خلاف أو شبهة . وبيان السنة للقرآن على أنواع :

النوع الأول أن يكون بيانا للقرآن وذلك مثل:

1- تفصيل مجمله:

ومن ذلك إن الله تعالى أمر بالصلاة في الكتاب من غير بيان لمواقيتها وأركانها وعدد ركعاتها فبينت السنة العملية فقال (صلوا كما رأيتموني أصلي) وورد وجوب الحج في الكتاب من غير بيان مناسكه فقال : خذوا عني مناسككم.

2- تقييد مطلقه:

كما في قوله تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) فإن القطع لم يقيد في الآية بموضع خاص ولكن السنة قيدته بأن يكون من الرسغ. وقوله تعالى (وليطوفوا بالبيت العتيق) يوجب الطواف مطلقا ولكن السنة قيدته بالطهارة ، وقوله تعالى (من بعد وصية يوصى بها) وردت الوصية مطلقه فقيدتها السنة بعدم الزيادة على الثلث..

3- تخصيص عامه:

4- ومن ذلك أن الله تعالى أمر أن يرث الأولاد الآباء والأمهات على نحو ما بين في قوله تعالى (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين)

فكان الحكم عاما في كل أصل مورث وكل ولد وارث فقصرت السنة الأصل المورث على غير الأنبياء بقوله (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة) وقصرت الولد الوارث على غير القاتل بقوله (ص) (لا يرث القاتل)

النوع الثاني :

أن نأتي بحكم جديد ليس في الكتاب ولذلك أمر الله تعالى بطاعة رسوله مع الأمر بطاعته في كثير من الآيات وقد أمر رسول الله (ص) معاذًا أن يرجع إلى السنة إذا لم يجد الحكم في الكتاب، ولو لم يكن فيها زيادة عما في الكتاب لما كان هناك فائدة من الرجوع إليها . ومن أمثلة الزيادة قوله (ص) (لا تتكح المرأة على عمته ولا على خالتها ولا على ابنة أخيها ولا على ابنة أختها لنكم ان فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم) وكتحريمه (ص) الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير، وغير ذلك كثير.

النوع الثالث:

أن تكون مطابقة للقرآن فتكون مؤكدة له فيكون الحكم مستمدا من مصدرين: الكتاب مثبتا له والسنة مؤيدة. ومن ذلك الأحاديث الدالة على وجوب الصوم والصلاة وبر الوالدين وتحريم الشرك وشهادة الزور وقتل النفس المعصومة وغيرها.

والناظر في هذا الباب يجد أنه قد أصبح مجالا واسعا ومرتعا خصبا للوضاع كي يدسوا من الأقوال والبدع التي ما أنزل الله بها من سلطان وينسبونها إلى رسول الله (ص) وهو منها براء فمن ذلك ما روي عن النبي (ص) أنه سئل عن قوله تعالى (والقناطر المقنطرة) فقال: القنطار ألف أوقية وكذلك ما روي عنه (ص) أنه قال : القنطار اثنا عشر ألف أوقية. ولا يمكن أن تؤثر عن النبي روايتان متعارضتان.

وأرى من حقنا أن نتساءل هل النبي (ص) بين جميع معاني القرآن أفرادًا وتركيبًا وجميع ما اشتمل عليه من معان أم أنه بين جزئًا منه وسكت عن جزء وما مقدار هذا الجزء الذي بينه.

لو رجعنا إلى أقوال السلف الصالح نشاهد أنهم انقسموا في ذلك إلى فريقين:

فريق يقول أن الرسول (ص) بين جميع ما في القرآن من معان وألفاظ وعلى رأس هذا الفريق ابن تيمية(رض)

- وقال الفريق الآخر إن الرسول (ص) لم يبين إلا الشيء اليسير ولم يتجاوز آيات قليلة تعد وعلى رأس هؤلاء الإمام السيوطي (رض) وقد استدل كل فريق من هؤلاء ببعض الأدلة التي تعزز مذهبه وتقوى رأيه ، لذا نرى أن نسرده أدلة كل فريق ونناقش هذه الأدلة ثم نحاول أن نخلص من ذلك ما نراه صوابا.
- 1- أدلة الفريق القائل بأن الرسول (ص) بين كل ما في القرآن من المعاني:
 الدليل الأول: قوله تعالى : (وأنزلا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) فهذه الآية الكريمة تشير إلى أن رسول الله (ص) بين جميع ما في القرآن ، وإلا كان مقصراً في تبليغ الرسالة وحاشاه من التقصير.
- الدليل الثاني: كان الصحابة (رضي) إذا تعلموا بعض آيات القرآن لم يتجاوزوها حتى يعلموها ويعملوا بها، فتعلموا القرآن والعلم والعمل له لذا كانوا يقيمون مدة طويلة على حفظه فهذا ابن عمر (رضي) يحفظ سورة البقرة بثمان سنوات . وقد تعلم العلم والعمل .
- الدليل الثالث : العادة أن الإنسان إذا قرأ كتابا في صنف من القوم لا بد أن يستشرحه وفهم معناه فما بالهم بالقرآن الذي فيه عصمتهم ونجاتهم.
- الدليل الرابع : ما روي عن عمر بن الخطاب (رضي) أنه قال من آخر ما نزل من القرآن آيات الربا وأن الرسول (ص) كان يفسر لهم كل آيات القرآن إلا آيات الربا لسرعة وفاته (ص) بعد نزولها.
 مناقشة الأدلة :
- الدليل الأول: يمكن أن يعرض على هذا الدليل بأن النبي (ص)، وإن كانت وظيفته البيان ، إلا أن هذا لا يعني أن الرسول الكريم(ص) بين لهم كل ما أشكل عليهم وكل ما لم يشكل عليهم من القرآن .
- الدليل الثاني: إن قولهم أن الصحابة (رضي) لم يتجاوزوا بعض آيات القرآن التي حفظوها حتى علموها وعملوا بها لا بد أن علمهم كان من رسول الله (ص) عنه وذلك لأن القرآن أنزل في كلامهم ومن الطبيعي أنهم كانوا يعلمون ظاهره بمعرفتهم للغة العربية كما يحتمل أن بعضهم عرفوه من إخوانهم الذين هم أعلم منهم بأساليب اللغة ومفرداتها وأقوال العرب وأشعارهم. وعلى هذا لا يسلم لهم بذلك .
- الدليل الثالث: ويرد على الدليل الثالث بأن الصحابة (رضي) قد علموا شيئا كثيراً من القرآن وفهموه ولم يروا حاجة إلى أن يسألوا الرسول (ص) عنه وذلك لأن القرآن أنزل بكلامهم وكانوا يعلمون ظاهر بعضه ولو لم يكن أغلبه، لذا لم يروا هناك حاجة إلى أن يسألوا النبي (ص) عن ذلك .
- الدليل الرابع : إن وفاة الرسول (ص) قبل أن يبين لهم معنى أية الربا لا يلزم أنه (ص) كان يبين لهم معنى كل أية سواها مما أشكل فهمه عليهم وذلك لأن الرسول (ص) لم يبين معناها لسرعة وفاته (ص) بعد نزولها، وحقا أن آيات الربا من جملة ما أشكل فهمه على الصحابة والتابعين ولا يزال الإشكال قائما حتى اليوم.

2- أدلة الفرق القائل أن الرسول (ص) لم يفسر إلا جزءاً يسيراً من القرآن :

الدليل الأول: استدلوا بما روي عن عائشة (رضي) أنها قالت (ما كان رسول الله (ص) يفسر شيئاً من القرآن إلا آيات تعد علمه إياهن جبريل.

الدليل الثاني : قالوا أن بيان الرسول (ص) لكل ما في القرآن من معان متعذر ولا يتصور ذلك إلا لآيات تعد ، كما أنه (ص) ترك المجال أمام الناس كي يتأملوا في القرآن الكريم.

الدليل الثالث: قالوا: إن الرسول (ص) دعا لابن عباس فقال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، ولو كان الرسول (ص) بين جميع معان القرآن لأصحابه لتساووا في معرفته، ولما كان هناك فائدة من دعائه (ص) لابن عباس .

مناقشة الأدلة :

الدليل الأول: الاستدلال بهذا الحديث على ما روي عن أم المؤمنين السيدة عائشة (رضي) لا يقبل لأن الحديث منكر وغريب، ولو سلمنا بصحته فإنه محمول على ما جاء مجملاً يحتاج إلى البيان والتفسير مما لا يمكن لأحد أن يطلع عليه إلا بتوفيق من صاحبه الذي هو أعلم بالمراد منه.

الدليل الثاني: إن دعواهم استطاعة الرسول (ص) بيان بعض الآيات و تعذر تبيان معاني جميع القرآن دعوى غير مسلم بها، وكذلك قولهم أن النبي (ص) لم يبين كل آيات القرآن كي يتفكر فيها الناس دعوى تناقض مهمة الرسول (ص) التي كلف بها (لتبين للناس منازل إليهم) ولو فرضنا أن جميع القرآن أشكل على الصحابة كان لزاماً عليه (ص) أن يبينه لهم جميعه. الدليل الثالث: إذا سلم أن النبي (ص) لم يفسر كل ما في القرآن فلا يسلم لهم أن هذا دليل على أن الرسول فسر بعض الآيات القليلة من القرآن كما يقولون.

يتضح مما مر من تتبعنا لأقوال الفريقين وأدلتهم أنهم قد غالوا وتطرفوا في دعواهم ، لذا نختار الطريق الوسط ونقول أن الرسول(ص) بين الكثير من معاني الآيات لأصحابه كما تشهد بذلك كتب الصحاح إلا أنه لم يبين جميع معاني القرآن الكريم لأن من معانيه ما استأثر الله تبارك وتعالى بعلمها ومنه ما لا يعلمه الا الرسول (ص) نفسه ومنه ما يعلمه العلماء ومنه ما علمته العرب من مجرد معرفتهم للغتهم فلم يكن هذا وذاك بحاجة إلى البيان.

والواضح من اختلاف الصحابة رضوان الله تعالى عليهم في تأويل بعض آيات الكتاب العزيز يرجع إلى أن الرسول (ص) لم يبين معاني جميع القرآن وإلا لما حدث هذا الخلاف بينهم. وبيان السنة على أنواع لأنها إما أن تكون مبينة لمجمل أو موضحة لمشكل أم مقيدة لمطلق وذلك كتيبانه (ص) للصلاة وهيئتها والزكاة ومقدارها والحج ومناسكه وكذلك ما بينه (ص) من نسخ حيث يقول (ص) كذا بكذا ، وقد تأتي بزيادات على القرآن وذلك كتحريم نكاح العمة على بنت أخيها والجمع بين المرأة وخالتها وغيرها من الأغراض الكثيرة الأخرى التي جاءت السنة بتبينه

والسنة المبينة للقرآن يجب أن تكون صحيحة أو حسنة على الأقل . ويجب أن يخلو التفسير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة لأنها تؤثر على البيان الصحيح للقرآن الكريم.

تفسير القرآن بالرأي:

إن تفسير القرآن بالرأي هو عبارة عن تفسير القرآن الكريم بالنظر المجرد الذي يستعين بقواعد اللغة وأساليب البيان من غير أن يخالف تفسيراً ورد عن النبي (ص) أو تفسيراً للصحابة أو يتنافى مع أسباب النزول التي صحت طرق إثباتها.

وهذا النوع من التفسير موضع خلاف بين العلماء فبعضهم يمنعون بتشدد أن يفسر القرآن بمجرد الرأي ويرون أنه لا بد من بيانه من علم السنة وعلم أقوال الصحابة وما أجمع عليه التابعون. ومن الذين عارضوا هذا شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال (فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام) واستدل على ما قال بأحاديث مروية عن الرسول الكريم (ص) قال: (من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)

إلا أن هذا الدليل لا يسلم من الاعتراض، فالناظر في الحديث يرى أن الاستدلال فيه ليس في محله . لأن الحديث يتوعد من قال في القرآن بغير علم. والذي يتكلم في التفسير دون أن يستكمل أدواته من معرفة باللغة العربية إلى علم بأساليبها وبالبيان والبديع وبمعرفة للمأثور عن الرسول (ص) ، أما من علم ذلك كله فإنه لم يقل بالقرآن بغير علم لذا خرج من الوعيد

ويعضد ما ذهب إليه ابن تيمية ما يروي عن كبار الصحابة رضوان الله تعالى عنهم من نهيمهم عن القول في القرآن وذلك مثل الذي يروي عن أبي بكر الصديق (رضي) أنه قال (أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله ما لم أعلم).

وما روي عن عمر بن الخطاب (رضي) عندما قرأ (وفاكهة وأبا) فقال هذه الفاكهة عرفناها فما الأب؟ ثم رجوعه على نفسه وقوله أن هذا لهو الكلف يا عمر... الخ.

إلا أن المدقق في هذه الأخبار وغيرها مما روى عن الصحابة الكرام يجد أنها لا تدل على منع التفسير بالرأي طالما اجتمعت للمفسر كل الأمور التي يحتاج للمفسر للقرآن بالرأي، بل غاية ما تدل عليه هذه الأخبار أنه لا يجوز للإنسان أن يتكلف في التفسير، بل يقول ما يعلمه وإذا لم يعلمه لا يفسره بهواه.

يتضح مما سبق أن ما سار عليه ابن تيمية ومن شايعه لا يمكن أن يكون دليلاً على منع تفسير بعض آيات القرآن التي لم يرد فيها شيء عن الرسول (ص) أو الصحابة أو إجماع التابعين .

لهذا لا نرى حرجاً في أن تقول أن من استكمل أدوات التفسير كان له أن يقول وفق ما يؤديه إليه علمه دون ما شطط ولا تعسف ودون أن يخضع القرآن لهواه، فيتجه إلى اللغة وأساليبها بدون تجن على الحقائق الشرعية ولا المعاني الدينية الثابتة التي لا مجال للريب فيها ومن الذين ناصرُوا هذا الرأي الإمام الغزالي (ر) والقرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن، وقد عقد له بحثاً خاصاً، وقد استدلووا لمذهبهم بعدة أدلة تذكر منها ما يلي.

الدليل الأول :

أن القرآن يحتوي على جميع علوم الدين ، بعضها بطريق العبارة وبعضها بطريق الإشارة، والثاني يحتاج إلى التعمق في الفهم ولا يكفي الوقوف عند ظواهر الآيات، ومن حقه أن يفهم المعاني حسب ما نرى شريطة ألا يخالف المأثور، فهناك حوادث تحدث وظواهر كونية تستجد وكل ذلك يستدعي النظر في آيات القرآن العزيز.

الدليل الثاني:

اختلف المفسرون في بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل متباينة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من الرسول (ص) محال ولو كان بعضها مسموعا وبعضها غير مسموع لوجب رد غير المسموع، إذا لا بد أن كل مفسر قال بما هداه إليه استنباطه . من أمثلة ذلك اختلافهم في تفسير فواتح السور.

الدليل الثالث:

قالوا إن النبي (ص) دعا لابن عباس (رضي) فقال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ولو كان التأويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فما معنى تخصيص ابن عباس بذلك.

الدليل الرابع:

قالوا إن الله تبارك وتعالى قال في محكم كتابه (لعلمه الذين يستنبطونه منهم) فأثبت لأهل العلم استنباطا، ومن البديهي أن الاستنباط يأتي من وراء السماع، ومن هنا يتعين أن يكون فهم القرآن لكل إنسان مستكمل لأدوات الاستنباط منه بقدر وسعة إدراكه.

الدليل الخامس:

حث القرآن على التعمق بالفهم فقال تعالى (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) فقال المفسرون إن الحكمة المقصودة في هذه الآية هي فهم القرآن ، وإذا كان الله سبحانه وتعالى اعتبر فهم القرآن من الأمور الخيرة فإن من الضرورة الحصول على تلك الحكمة التي تتمثل في دراسة القرآن وتفسيره.

هذه هي الأدلة التي استدلت بها المجيزون لتفسير القرآن بالرأي وهي أدلة مقبولة ومعقولة ، ولكنها على وجاهتها توجد بعض الأدلة التي تتعارض مع هذه الأدلة فقد روي عن رسول الله (ص) أنه قال (من قال بكتاب الله برأيه فقد أخطأ) وقوله (ص) من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار) رواه الترمذي بسند صحيح.

ولكن بشيء من إعمال الفكر يمكن التوفيق بين الأدلة المجيزة للتفسير بالرأي وبين هذا التهديد الصريح لمن يفسر بالرأي :

إن الجواب على ذلك يمكن أن يحمل الوعيد على أحد أمرين :

الأمر الأول :

إذا كان للشخص المفسر رأي ويميل إليه من طبعه فيتأول القرآن وفق رأيه وهو اه ليجتج به على ترجيح غرضه، ولو لم يكن له رأي وهوى ما ظهر له ذلك المعنى وقد يصر على ذلك

مع علمه ببطلانه كالذي يحتج ببعض آيات القرآن ليقوى بدعته وهو يعلم علم اليقين أن المراد غير ما ذهب إليه ولكن ليلبس به على خصمه كالذي يلهو ويفسد في الأرض محتجا بقول الباري عز وجل (وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو) وقد يكون ميله إلى هذا الرأي عن جهل مثل أن تكون الآية محتملة لمعان عدة فيميل فهمه إلى الوجه الذي يوافق غرضه ويرجحه برأيه وهو اه ولو لا هواه لما ذهب إليه. وقد يكون الغرض الذي حمله صحيحا فيطلب له الدليل من القرآن ويستدل بما يعلم على اليقين أنه بعيد عن الاستدلال وذلك كمن يريد أن يحارب نزوات الشيطان والقلب القاسي فيقول (اذهب على فرعون إنه طغى) ويشير إلى قلبه ويعنى أنه هو مراد الله سبحانه وتعالى من قوله (اذهب إلى فرعون). الأمر الثاني:

والأمر الثاني الذي يذم فيه التفسير بالرأي المسارعة إلى تفسير القرآن بظاهر الآيات من غير معرفة المنقول ودون أن يقابل الآيات بعضها مع بعض ومن غير معرفة أسباب النزول وأساليب القرآن ومعرفة ناسخ القرآن ومنسوخه وعامه وخاصه ومطلقه ومقيده، فإذا تغاضى عن كل ذلك ولم يعره أهمية فإن ذلك يكون تفسيراً في الرأي من دون مؤهلاته واجتهادها في الفهم من غير أدواته ، ووقتئذ يكون للخطأ أقرب منه للصواب..

وقد حمل الإمام الغزالي على كل من يفسر القرآن برأيه دون أن يستكمل أدواته. فقال: ومن يدعى منهم معرفة أسرار القرآن ولم يعلم التفسير الظاهر فهو كمن يدعى بلوغ صدر البيت قبل مجاوزة الباب أو يدعى فهم مقاصد الأتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك ، فان ظاهر التفسير يجري مجرى تعليم اللغة التي لا بد منها للفهم. ثم يسترسل رحمه الله فيقول: ومما لا بد من السماع فنون كثيرة منها الإيجاز بالحذف كقوله تعالى (وأتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها) معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها - فالناظر إلى ظاهر الآية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ولم يدر أنهم بماذا ظلموا غيرهم أو أنفسهم . وقوله تعالى (وأشربوا في قلوبهم العجل) أي حب العجل، وهكذا يستطرد (رضي) في ضرب الأمثلة الكثيرة .

من ذلك يتضح أن من أراد أن يتعمق في التفسير لا بد له أن يتجاوز الظاهر وأن ينقب إلى معاني الكلمات وبواطنها وينظر في آيات الكون حوله وأن يخلص النية لله عز وجل. ومما تطمئن إليه النفس أن الشخص الذي يريد أن يفسر القرآن يجب عليه أن ينظر إلى الآيات التي يريد تفسيرها . فان كانت آيات أحكام ليس بوسعها إلا الاطلاع على الآثار التي لا بد من الاطلاع عليها لفهم الأحكام ثم يستتبط بعض الأحكام على ضوء ما يراه مناسباً للأحكام الموجودة.

أما الآيات الأخرى التي لا تتعرض للأحكام ففي وسع الإنسان أن يعتمد على العقل بشرط ألا يتركه يهيم على غير هدى من الشرع وهذا يتحقق له بأمور ثلاث:

الأمر الأول :

العلم باللغة العربية علما كاملا شاملا ليعرف معاني التصرف البياني.
الأمر الثاني:

ألا يخالف المأثور عن النبي (ص) ولا يناقضه لأن في مخالفة المأثور حرجا في تفسير القرآن به.
الأمر الثالث:

ألا يتعصب لفكرة أو مذهب فيخضع القرآن لما يتعصب له من رأى أو مذهب ، لأن الإنسان قد لا يكون في مقدوره التخلص من الهوى لما يميل إليه، وعندها يخضع القرآن الكريم لهواه ، فإن الهوى يعمى ويصم. ونربأ بالمسلم أن يتبع هواه في تفسير كلام رب العالمين .
ما يحتاج إليه المفسر بالرأي:
إن مما يحتاج إليه المفسر بالرأي أمورًا لا بد من توفرها هي:

- 1- معرفة أوضاع اللغة وأساليبها وأسرارها حيث أن معرفتها تعين على فهم الآيات التي يتوقف فهمها على غير فهم اللغة العربية وأساليبها من إيجاز وإطناب وظهور واستتار وغيرها من الأساليب.
 - 2- معرفة عادات العرب : لأن معرفة عادات العرب تحل أشكالا يواجه المفسر للقرآن وتساعد على الكثير من معرفة معاني الآيات التي لها علاقة بعاداتهم وذلك مثل قوله تعالى (إنما النسيئ زيادة في الكفر) فلا يعرف معنى هذه الآية إلا من عرف عادات العرب في حربها وسلمها وحلها وإحرامها ليستطيع معرفة معنى النسيئ .
 - 3- أن تكون له معرفة بأحوال أهل الكتاب في الجزيرة العربية وقت نزول القرآن ، ومعرفة أحوال هؤلاء أمر ضروري لفهم ما جاء من القرآن يتحدث عن أحوالهم، وذلك في أعمالهم والرد على الكثير من أقوالهم وأظهار ما يخفونه من السوء، ويبدون خلافه للناس، فكل هذه الأشياء تساعد على فهم القرآن فهما صحيحا.
 - 4- أن يكون له معرفة بأسباب النزول لأن معرفة أسباب النزول لها أثر كبير في فهم القرآن الكريم وذلك لأن معرفة السبب تستلزم معرفة المسبب.
 - 5- قوة الفهم وسعة الإدراك، ان قوة الفهم وسعة الإدراك فضل من الله تبارك وتعالى يعطيه من يشاء من عباده، وكثير من آيات القرآن تدق معانيها على ذوي الالباب ولا يستطيع أن يتوصل إلى معناها كل انسان إلا من أوتي قوة عقلية عظيمة يستطيع بواسطتها أن تتجلى بواطن الأمور ببصيرته المتقدمة وكان ابن عباس من هذا النوع .
 - 6- أن يكون عارفا بالناسخ والمنسوخ لأن معرفته له أهمية كبرى في تفسير كتاب الله.
 - 7- أن يكون عارفا بتفسيرات الرسول (ص) والصحابة وغيرهم.
- هذه هي اهم الأدوات التي يحتاجها من يريد أن يتصدى لتفسير القرآن الكريم ويجب عليه أن يلزم نفسه بها ولا يتعدها أو يتجاهلها أو يتناساها ظانا أنه في غنى عنها.
وقد استعان بها الصحابة الذين فسروا القرآن بالرأي كثيرا فاستفادوا، وافادوا، فرضى الله تعالى عنهم وجزاهم عنا كل خير.

أبرز التفاسير

وبعد هذا البيان يحسن بنا التعرف بأبرز التفاسير المدونة عبر القرون. وقد بذل العلماء المتقدمون قصارى جهودهم لخدمة كتاب الله دراسة وتديراً وتفسيراً، وهذه التفاسير ، من جانب آخر، تتمثل فيه أفكار العصور التي عاشها أصحابها.

ابن عباس

هو **عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم**، ابن عم النبي محمد ، حبر الأمة وفقهها وإمام التفسير، ولد ببني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين، وكان النبي محمد دائم الدعاء لابن عباس فدعا أن يملأ الله جوفه علماً وأن يجعله صالحاً. وكان النبي محمد يدينه منه وهو طفل ويربّت على كتفه وهو يقول: " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل".

لقب ابن عباس (رضي) بحبر الأمة وكان على جانب كبير من العلم والمعرفة بكتاب الله تبارك وتعالى حتى بز جميع أقرانه بل تعدهم حتى رأينا عمر بن الخطاب (رضي) حيث كان يدخله مع أشياخ بدر وعندما سئل عن ذلك قال أنه من أعلمكم كما قال (رضي) ذلكم فتى الكلحول أن له لساناً سهولاً وقلبا عقولاً، ومع ذلك فإنه إذا سأل عمر بن الخطاب عن شيء وهو قال أقوم كان لا يتكلم إلا آخرهم توقيراً واحتراماً لهم.

ولد وأهله مقيمون في شعب أبي طالب بمكة حيث كانوا مقاطعين من قبل قريش ، فما أن شب حتى لازم رسول الله (ص) وذلك لشدة قرابته ولحدائثة سنة ، إلا أن الرسول (ص) توفي وهو إلا يزال شاباً حدثاً حيث كا عمره عند وفاة الرسول (ص) ثلاث عشرة سنة وقيل خمس عشرة سنة، وبعد أن لحق (ص) بالرقيق الأعلى لالزم ابن عباس (رضي) كبار الصحابة الكرام (رضي) وتوفي سنة ثمان وستين هجرية عن عمر يناهز السبعين وكانت وفاته في مدينة الطائف ودفن فيها وكان (رضي) قد كف بصره قبيل وفاته شأنه شأن والده الذي كف بصره قبل وفاته .

ويروي أن ابن عباس (رضي) كان جالسا بفناء الكعبة اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن ، فقال نافع بن الأزرق لنجده بن عويمر : قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به ، فقاما إليه فقالا له أنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله تفسرها لنا وتأتينا بمصادفة على ما تقول من كلام العرب فان الله تعال أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فقال ابن عباس (رضي) سلاني عما بدا لكما. اتضح مما مر أن ابن عباس (رضي) قد تصدى لتفسير القرآن وكان واسع الاطلاع وكيف لا يكون كذلك وقد دعا له رسول الله (ص) حيث قال (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)

لغزارة علم ابن عباس رضي الله عنه، لقب بالبحر إذ أنه لم يتعود أن يسكت عن أمر سئل عنه، فإن كان الأمر في القرآن أخبر به، وإن لم يكن في القرآن وكان عن رسول الله أخبر به، فإن كان من سيرة أحد الصحابة أخبر به، فإن لم يكن في شيء من هؤلاء قدم رأيه فيه، ومن

شدة اتقانه فقد قرأ سورة البقرة وفسرها آية آية وحرفا حرفا. لشدة ايمانه أنه لما وقع في عينه الماء أراد أن يتعالج منه فقبل له: إنك تمكث كذا وكذا يوما لا تصلي إلا مضطجعا فكره ذلك. وقد قال رضي الله عنه: سلوني عن التفسير فإن ربي وهب لي لسانا سوؤلا وقلبا عقولا. **زوجته:** هي شميلة بنت أبي حناء بن أبي أزيهر بن أنيس بن الخيسق بن مالك بن سعد بن كعب بن الحارث بن عبد الله بن عامر بن بكر بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران.

من أقوال الناس في الصحابي ابن عباس

. كان عمر بن الخطاب يحرص على مشورته في كل أمر كبير، وكان يلقبه بفتى الكهول. وكان إذا ذكره قال: ذاكم كهل الفتیان.

. يصفه سعد بن أبي وقاص بهذه الكلمات:

" ما رأيت أحدا أحضر فهما، ولا أكبر لبًا، ولا أكثر علما، ولا أوسع حلما من ابن عباس..

ولقد رأيت عمر يدعو للمعضلات، وحوله أهل بدر من المهاجرين والأنصار فيتحدث ابن عباس، ولا يجاوز عمر قوله.."

. قال طاووس: أدركت سبعين شيخا من أصحاب محمد فتركتمهم وأنقطعت إلى هذا الفتى، يقصد ابن عباس، فاستغنيت به عنهم.

. وقال مسروق: إذا رأيت ابن عباس قلت أجمل الناس، فإن هو تكلم قلت أفصح الناس، فإن هو حدث قلت أبلغ الناس.

. قال ابن عمر: ابن عباس أعلم الناس بما أنزل على محمد .

. قال عطاء بن أبي رباح: ما رأيت مجلسا أكرم من مجلس ابن عباس، ولا أعظم جفنة ولا أكثر علما، أصحاب القرآن في ناحية، وأصحاب الفقه في ناحية، وأصحاب الشعر في ناحية، يوردهم في واد رحب.

. قال مجاهد: كنت إذا رأيت ابن عباس يفسر القرآن أبصرت على وجهه نورا.

كانت حجته كضوء الشمس ألقا، ووضوحا، وبهجة.. وهو في حوارهِ ومنطقه، لا يترك خصمه مفعما بالافتناع وحسب، بل ومفعما بالغبطة من روعة المنطق وفطنة الحوار..

مع غزارة علمه، ونفاذ حجته، لم يكن يرى في الحوار والمناقشة معركة ذكاء، يزهو فيها بعلمه، ثم بانتصاره على خصمه.. بل كان يراها سبيلا قويا لرؤية الصواب ومعرفته..

لطالما روع الخوارج بمنطقه الصارم العادل..

بعث به الامام علي بن أبي طالب ذات يوم إلى طائفة كبيرة منهم فدار بينه وبينهم حوار رائع وجّه فيه الحديث وساق الحجة بشكل يبهر الألباب..

ومن ذلك الحوار الطويل نكتفي بهذه الفقرة..

سألهم ابن عباس: " ماذا تنقمون من علي..؟" قالوا: " ننقم منه ثلاثا:

أولاهن: أنه حكّم الرجال في دين الله، والله يقول ان الحكم الا لله..

والثانية: أنه قاتل، ثم لم يأخذ من مقاتليه سبياً ولا غنائم، فلئن كانوا كفاراً، فقد حلت أموالهم، وان كانوا مؤمنين فقد حرمت عليه دماؤهم..!!

والثالثة: رضي عند التحكيم أن يخلع عن نفسه صفة أمير المؤمنين، استجابة لأعدائه، فان لم يكن أمير المؤمنين، فهو أمير الكافرين.."

وأخذ ابن عباس يفند أهواءهم فقال: " أما قولكم: انه حَكَمَ الرجال في دين الله، فأبي بأس..؟ إن الله يقول: (يَأْيَهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ)، فنبؤني بالله: أتحكيم الرجال في حقن دماء المسلمين أحق وأولى، أم تحكيمهم في أرنب ثمنها درهم؟

تلعثم زعماءهم تحت وطأة هذا المنطق الساخر والحاسم، واستأنف حبر الأمة حديثه: "وأما قولكم: انه قاتل فلم يسب ولم يغنم، فهل كنتم تريدون أن يأخذ عائشة زوج الرسول وأم المؤمنين سبياً، ويأخذ أسلابها غنائم..؟؟

وهنا كست وجوههم صفرة الخجل، وأخذوا يوارون وجوههم بأيديهم، وانتقل ابن عباس إلى الثالثة:

" وأما قولكم: انه رضي أن يخلع عن نفسه صفة أمير المؤمنين، حتى يتم التحكيم، فاسمعوا ما فعله الرسول يوم الحديبية، إذ راح يملي الكتاب الذي يقوم بينه وبين قريش، فقال للكاتب (و كان الإمام علي بن ابي طالب هو كاتب صحف رسول الله (ص): اكتب. هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله . فقال مبعوث قريش: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك. فاكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله، فقال لهم الرسول : والله اني لرسول الله وان كذبتم، ثم قال لكاتب الصحيفة: اكتب ما يشاءون: اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله".

استمرّ الحوار بين ابن عباس والخوارج على هذا النسق الباهر المعجز، وما كاد ينتهي النقاش بينهم حتى نهض منهم ألفان، معلنين أفتناعهم، ومعلنين خروجهم من خصومة الامام عليّ. لم يكن ابن عباس يمتلك هذه الثروة الكبرى من العلم فحسب. بل كان يمتلك معها ثروة أكبر، من أخلاق العلم وأخلاق العلماء.

فهو في جوده وسخائه إمام وعالم..

إنه ليفيض على الناس من ماله، بنفس السماح الذي يفيض به عليهم من علمه. ولقد كان معاصروه يتحدثون عنه فيقولون: "ما رأينا بيتاً أكثر طعاماً، ولا شراباً، ولا فاكهة، ولا علماً من بيت ابن عباس".

وهو طاهر القلب، نقيّ النفس، لا يحمل لأحد ضغناً ولا غلاً. وهو ابته التي لا يشبع منها، هي تمثيه الخير لكل من يعرف ومن لا يعرف من الناس.

فيقول عن نفسه: "اني لأتي على الآية من كتاب الله فأود لو أن الناس جميعاً علموا مثل الذي أعلم.

وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يقضي بالعدل، ويحكم بالقسط، فأفرح به وأدعو له. ومالي عنده قضية.

وإني لأسمع بالغيث يصيب للمسلمين أرضا فأفرح به، ومالي بتلك الأرض سائمة." وهو عابد قانت أوّاب، يقوم من الليل، ويصوم من الأيام، ولا تخطئ العين مجرى الدموع تحت خديّه، إذ كان كثير البكاء كلما صلى، وكلما قرأ القرآن، فإذا بلغ في قراءته بعض آيات الزجر والوعيد، وذكر الموت والبعث علا نشيجه ونحيبه. وهو إلى جانب هذا شجاع، أمين، حصيف.. ولقد كان له في الخلاف بين عليّ ومعاوية آراء تدلّ على امتداد فطنته، وسعة حيلته.

وهو يؤثر السلام على الحرب، والرفق على العنف. والمنطق على القسر، عندما همّ الحسين بالخروج إلى العراق إصلاحاً للإسلام زياداً، ويزيد، تعلق ابن عباس به واستمات في محاولة منعه. فلما بلغه فيما بعد نبأ استشهاده، أقضه الحزن عليه، ولزم داره. في كل خلاف ينشب بين مسلم ومسلم، لم تكن تجد ابن عباس إلا حاملاً راية السلم، والتفاهم واللين، صحيح أنه خاض المعركة مع الإمام عليّ ضد معاوية. ولكنه فعل ذلك لأن المعركة في بدايتها كانت تمثل ردعا لازماً لحركة انشقاق رهيبة، تهدد وحدة الدين ووحدة المسلمين. كان يسمى أيضا ترجمان القرآن

وفاته

توفي حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس سنة 68 هـ بالطائف، وقد نزل في قبره وتولى دفنه علي بن عبد الله ومحمد بن الحنفية، والعباس بن محمد بن عبد الله بن العباس وصفوان، وكريب.

ومهما يكن من شيء فإن ابن عباس (رض) كان من مشاهير الصحابة في التفسير وكان من مكثريهم حتى أصبح نواة لمدرسة في التفسير تكونت بعد ذلك وهي مدرسة التفسير التي وجدت في مكة.

وقد اتهمه بعض الناس بالأخذ عن أهل الكتاب، إلا أننا لا نعتقد أن ذلك يمكن أن يكون مطعنا في علم ابن عباس، وذلك لأن ابن عباس لم يسأل أهل الكتاب عن أمور الأحكام والاعتقاد وإنما كان يسألهم عن بعض قصص القرآن التي وردت مقتضبة في القرآن الكريم وربما كانت مفصلة عند أهل الكتاب.

محمد بن جرير الطبري

محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام الطبري (838-923) (224 هـ) أمل ، طبرستان - 28 شوال 310 هـ) مؤرخ ومفسر وفقه مسلم صاحب أكبر كتابين في التفسير والتاريخ. يعتبر أكبر علماء الإسلام تأليفاً وتصنيفاً. إمام المؤرخين والمفسرين الإمام الطبري.^[1]

حياته العلمية

بدأ الطبري طلب العلم بعد سنة 240 هـ وأكثر الترحال ولقي نبلاء الرجال، قرأ القرآن ببيروت على العباس بن الوليد ثم ارتحل منها إلى دمشق والمدينة المنورة ثم الري وخراسان، تفقه الطبري على الشافعي حتى أصبح من كبار الشافعية، ثم أصبح مجتهداً مطلقاً فانفرد بمذهب مستقل لم يكتب له الدوام، وذلك لذهاب مدوناته، وتفرق أصحابه وأتباعه.^[2]

محنه

تعرض الطبري لمحنة شديدة في أواخر حياته بسبب التعصب المذهبي، فلقد وقعت ضغائن ومشاحنات بين ابن جرير الطبري ورأس الحنابلة في بغداد أبي بكر بن داود أفضت إلى اضطهاد الحنابلة لابن جرير، وكان المذهب الحنبلي في هذه الفترة هو المسيطر على العراق عامة وبغداد خاصة، وتعصب العوام على ابن جرير ورموه بالتشيع وغالوا في ذلك. حتى منعوا الناس من الاجتماع به، وخلطوا بينه وبين أحد علماء الشيعة واسمه متشابه مع ابن جرير، وهو «محمد بن جرير بن رستم» وكنيته أيضاً أبو جعفر، ولقد نبه الذهبي على هذا الخلط في تاريخه وفي كتابه سير أعلام النبلاء. ظل ابن جرير محاصراً في بيته حتى تُوفي.

تفسير الطبري

الإمام الطبري كرس حياته للعلوم ، تحصيلها ونشرها ، وأولى الاهتمام بنشر القرآن الكريم دراسة وتفسيراً وتدریسا، كما اهتم بعلوم الحديث والتاريخ الإسلامي. ومنهجه في التفسير يتوقف على تفسير القرآن بالقرآن نفسه الذي هو أفضل طرق التفسير، ثم يعتمد على أقوال الرسول وأفعاله التي تقوم بمثابة التفسير النموذجي للقرآن ، ويأتي بعد ذلك رجوعه إلى أقوال الصحابة ثم التابعين . وإذا حدث تعارض بين آرائهم يقول بترجيح المعتمد مستدلاً بالآيات والأحاديث الصحيحة. وهو لا يتشيع لأحد ولا يتحزب لفرقة أو جماعة.

وقد أجمع الأمة المسلمة على أنه لم يؤلف ما يماثله أو يقاربه في التفسير في التفسير – على حد تعبير الإمام النووي. ونرى ابن جرير يحكي ما ورد من ابن عباس في أنواع التفسير وهو يقول: التفسير على أربعة أوجه: تعبير تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعرفه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله.

وقد أخذ ابن جرير غاية الحذر والحيلة حين يحكي القصص الإسرائيلية ، وحكايته ليست بهدف الإثبات ولكن للاستشهاد.

والإسرائيليات في رأيه ثلاثة أنواع:

1 – ما نراه صحيحاً ومعتمداً على ضوء ما جاء في القرآن والأحاديث الصحيحة، ولا مانع لقبوله والاستدلال به

2 – ما نراه كذبا منافيا للقرآن بما كانت الدلائل القرآنية تنص على بطلانها وعدم موافقتها بروح القرآن

3 – ما لم يمكن الجزم بصدقه وكذبه وحكمه التوقف

وقد أسهب ابن جرير في الكلام عن المحكم والمنشأ به و أفصح في أسباب النزول. كما أنه أبرز الجوانب اللغوية للآيات الكريمة

أهم كتبه

- تفسير الطبري—المسمى بجامع البيان عن تأويل آي القرآن.
- تاريخ الطبري (تأريخ الأمم والملوك).
- كتاب آداب النفس الجيدة والأخلاق النفيسة.
- اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام.
- صريح السنة (يوضح فيه مذهبه وعقيدته).
- الفصل بين القراءات.
- آداب القضاة.
- آداب النفوس.
- آداب المناسك.
- تهذيب الآثار.
- فضائل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.
- ذيل المذيل.

ثناء العلماء عليه

قال أبو سعيد بن يونس: محمد بن جرير من أهل أمل كتب ب مصر ورجع إلى بغداد وقال الخطيب البغدادي كان أحد أئمة العلماء يُحکم بقوله وجمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره فكان حافظا لكتاب الله عارفا بالقراءات بصيرا بالمعاني فقيها في أحكام القرآن عالما بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها عارفا بأقوال الصحابة والتابعين قل أن ترى العيون مثله.

قال عنه أحمد ابن خلکان صاحب وفيات الأعيان العلم المجتهد عالم العصر صاحب التصانيف البديعة كان ثقة صادقا حافظا رأسا في التفسير إماما في الفقه والإجماع والاختلاف علامة في التاريخ وأيام الناس عارفا بالقراءات وباللغة وغير ذلك.

قال ابن تيمية: "وأما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف، بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين"

قال ابن الأثير: أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق وكان مجتهدًا في أحكام الدين لا يقلد أحدًا بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه وكان أسمر، أعين، نحيف الجسم، فصيحًا

تفسير الزمخشري

هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الإمام الحنفي المعتزلي، ويلقب بجار الله ولد في شهر رجب من سنة 467هـ بقرية (زمخشر) وهي قرية صغيرة من قرى خوارزم. ثم قدم إلى بغداد وتلقى العلم من مشاهير العلماء فيها ثم أخذ شأنه يرتفع وصيته يذيع لا سيما حين وصل خراسان أكثر من مرة، وكان كلما دخل في بلد ووجد فيه عالماً ناظره واجتمع أهل ذلك البلد حوله واستمعوا إليه وعظم شأنه حتى صار إمام عصره دون مدافع.

وليس من قبيل الصدفة أو مما يدعو إلى الدهشة ما لقيه الزمخشري من ذبوع الصيت وارتفاع المنزلة وهو الخبير في كل فنون زمانه، فلو تفحصنا ذلك التفسير وجدنا خبرته في صناعته في التفسير والنكت البلاغية واللغوية وقضايا النحو وما فيها من وجوه الإعجاز، وقد ألف كثيراً من الكتب في مختلف العلوم، ومن أشهر مصنفاته الكشاف الذي نحن بصدد الكلام عنه.

عاش (جار الله) محمود عمرا يناهز السبعين وقد قضاه في الدفاع عن المعتزلة والاحتجاج لهم، حتى وافه الأجل المحتوم بخوارزم وذلك بعد عودته من مكة وقد توفي سنة 538هـ

الكشاف وطريقة مؤلفه في تفسيره:

إن سبب إقدام جار الله محمود على تأليفه لتفسير الكشاف قد بينه في مقدمة كتابه حيث يقول: لقد رأيت إخواننا في الدين من أفاضل الفئة الناحية العدلية الجامعين بين علم العربية والأصول الدينية كلما رجعوا إلى تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق أفاضوا في الاستحسان والتعجب واستطاروا شوقاً إلى مصنف أطرافاً من ذلك حتى اجتمعوا إلى مقترحين أن أملي عليهم الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في جوه التأويل فاستعفيت فأبوا إلا المراجعة الخ .

قصة تأليف الكشاف

ذكر الإمام الزمخشري في مقدمة كشافه قصة تأليف كتابه هذا وضح فيها ما كان منه من التردد بين الإقدام عليه والإحجام عنه أولاً، ثم العزم المصمم منه على تأليفه حتى أخرجه للناس كتاباً جامعاً نافعاً. فذكر أنه كان في بداية الأمر يرى من التعجب والاستحسان في وجوه أصحابه وتلاميذه عند تفسيره لبعض آيات القرآن، مما جعلهم يستطيرون شوقاً إلى تأليف يجمع أطرافاً من ذلك حتى اقترحوا عليه أن يملي عليهم حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. وبعد رفض منه اقتنع في نهاية الأمر وبدأ في الكتابة في الحرم المكي حتى أخرج للناس هذا الكتاب النافع الجامع.

قيمة الكشاف العلمية

وأما قيمة هذا التفسير، فهو تفسير لم يسبق أحد إلى مثله، لما توضح له من وجوه الإعجاز في الآيات، ولما أظهر فيه من جمال النظم القرآني وبلاغته، وليس كالمزمخشري من يستطيع أن يكشف لنا جمال القرآن وسحر بلاغته، لما برع فيه من المعرفة بكثير من

العلوم، لاسيما ما برز فيه من الإلمام بلغة العرب، والمعرفة بأشعارهم، وما امتاز به من الإحاطة بعلوم البلاغة، والبيان، والإعراب، والأدب، ولقد أضفى هذا النبوغ العلمي والأدبي على تفسير الكشاف ثوباً جميلاً لفت إليه أنظار العلماء وعلق به قلوب المفسرين. وقيمة الكتاب إذا تبرز من خلال علمين مختصين بالقرآن الكريم وهما: علم المعاني، وعلم البيان، وبهما برع الزمخشري حتى أصبح سلطان هذا الفن، فلذا طار كتابه إلى أقصى المشرق والمغرب.

وقد أبدع جداً في تأليفه، وهو القائل شعراً يمدح تفسيره :
 إنّ التفاسير في الدنيا بلا عددٍ - وليس فيها لعمرى مثلُ (كشافي)
 إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته الكتب كالداء والكشاف كالشافي
 ولاحظ إلى تلاعبه بالألفاظ.. وذلك يدلّ على باعه الطويل في البلاغة والفصاحة.

خصائص التفسير ومميزاته

يمتاز الكشاف بأمور منها:

- خلوه من الحشو والتطويل.
- سلامته من القصص الباطلة والإسرائيليات.
- اعتماده في بيان المعاني على لغة العرب وأساليبهم.
- سلوكه فيما يقصد إيضاحه طرق السؤال والجواب كثيراً، ويعنون السؤال بكلمة "فإن قلت" ويعنون الجواب بكلمة "قلت". وهذا مما زاد في تفسير الكشاف قيمة يجعل النفوس تميل إليه، والطباع راغبة في قراءته وتناوله.
- وهكذا نجد الأئمة الذين تكلموا على الإمام الزمخشري وعلى تفسيره من الناحية الاعتزالية قد أثنوا عليه من الناحية الأدبية والبلاغية واللغوية.

موقفه من المسائل الفقهية

ونجد أن الزمخشري لا يتوسع في المسائل الفقهية كثيراً، بل على العكس نرى أنه يتعرض لها إلى حد ما دون الميول إلى مذهبه الحنفي، فهو معتدل لا يتعصب لمذهبه الفقهي على عكس مذهبه الاعتقادي فإنه متعصب جداً.

موقفه من الإسرائيليات

إن الناظر في كتب التخريجات لأحاديث الكشاف، يجد أن الزمخشري مُقلٌّ من ذكر الروايات الإسرائيلية، وهو يتبع خطة للكشف عن هذه الروايات، بأن يصدر الرواية بلفظ "روي" المشعر بضعف الرواية، وبعدها عن الصحة، وإما أن يفوض علمه إلى الله وهذا في الغالب يكون عند ذكره للروايات التي لا يلزم من التصديق بها مساس الدين، وإما أن ينبه إلى ضعف الرواية وهذا في الغالب يكون عند الروايات التي لها مساس بالدين وتعلق به.

انتصار الزمخشري لعقائد المعتزلة

لقد نحا الزمخشري في تفسيره منحى الاعتزال، فشرحه في ظل الأصول الخمسة للمعتزلة (العدل - التوحيد - الوعد والوعيد - المنزلة بين منزلتين - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر). ومن أفكاره التي يمكن ملاحظتها في الكثير من المواقع في تفسيره:

- انتصاره لرأي المعتزلة في أصحاب الكبائر: بأنهم كفار مخلدون في النار إن لم يقلعوا عن الذنب ويتوبوا.
- انتصاره لرأي المعتزلة في الحسن والقبح العقليين: فهم يعتقدون أن العقل السليم قادر على تحديد القبح والحسن.
- انتصاره لرأي المعتزلة في السحر: فالمعتزلة ينفون السحر والسحرة ولا يؤمنون بها(من ناحية تغير طبيعة المواد)، لذا نجد أنه يستهزئ ويسخر بأهل السنة القائلين بقدرة السحر على تغير طبيعة المواد.
- انتصاره لرأي المعتزلة في حرية الإرادة وخلق العباد لأفعالهم لاستحقاق الوعد أو الوعيد من الله عز وجل.
- انتصاره لرأي المعتزلة في عدم رؤية الله سبحانه - لقوله تعالى {ولمّا جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربّه قال ربّ أرني أنظر إليك، قال لن تراني} سورة الأعراف.

مؤلفاته

الكشاف : وهو تفسير القرآن، وهو أشهر ما كتب. وقد حذر الشيخ أبو إسحاق الحويني من هذا التفسير، وقال إن الزمخشري كان أكثر الناس جهلا في الحديث. ومن كبه :الفائق في غريب الحديث،ربيع الأبرار، أساس البلاغة :وفي هذا الكتاب المعجم يأتي بالمعنى ويقول: معناه كذا والمجاز منه كذا، ويأتي بعدة معاني يجعلها مجازية، ويجعل معنى واحداً هو الأصل.

مفصل أنموذج :كتاب في نحو العربية ،مشتبه أسامي الرواة، كتاب النصائح، "المنهاج" في الأصول

ضالة الناشر

كتاب الأمكنه والجبال والمياه، في الجغرافيا
وهو قاموس من العربية للفارسية :مقدمة الأدب
القسطاس في علم العروض

فخر الدين الرازي

هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التيمي البكري (من بني تيم من قریش يلتقي مع أبي بكر الصديق) الرازي المعروف بفخر الدين الرازي الطبرستاني أو ابن خطيب الري. وهو إمام مفسر شافعي، عالم موسوعي امتدت بحوثه ودراساته ومؤلفاته من العلوم الإنسانية اللغوية والعقلية إلى العلوم البحتة في: الفيزياء، الرياضيات، الطب، الفلك. ولد في الري. قرشي النسب، أصله من طبرستان. رحل إلى خوارزم وماوراء النهر وخراسان. وأقبل الناس على كتبه يدرسونها، وكان يحسن الفارسية. كان قائماً لنصرة الأشاعرة، ويرد على الفلاسفة والمعتزلة، وكان إذا ركب يمشى حوله ثلاث مائة تلميذ من الفقهاء، ولقب بشيخ الإسلام.

له تصانيف كثيرة ومفيدة في كل فن من أهمها: التفسير الكبير الذي سماه "مفاتيح الغيب"، وقد جمع فيه ما لا يوجد في غيره من التفاسير، وله "المحصل" في علم الأصول، و"المطالب العالية" في علم الكلام، و"نهاية الإجاز في دراية الإعجاز" في البلاغة، و"الأربعين في أصول الدين"، وكتاب الهندسة. وقد اتصل الرازي بالسلطان محمد بن تكشي الملقب بخوارزم شاه ونال الحظوة لديه. توفي الرازي في مدينة هراة سنة 606 هـ.

نشأته

ولد فخر الدين الرازي بمدينة الري عام 543 هـ / 1148م، وكان والده الإمام ضياء الدين عمر بن الحسن فقيهاً اشتغل بعلم الخلاف في الفقه وأصول الفقه، وله تصانيف كثيرة في الأصول والوعظ وغيرهما. وعلى يد والده تعلم فخر الدين العلوم اللغوية والدينية، وتتلذذ العلوم العقلية على يد مجد الدولة الجيلي بمدينة مراغة (قرية مشهورة بأذربيجان). صار لفخر الدين الرازي تلاميذ صاروا علماء كباراً من بينهم: زين الدين الكشي، وشهاب الدين المصري. وقد كان فخر الدين الرازي شديد الدقة في أبحاثه، جيد الفطرة، حاد الذكاء، حسن العبارة، قوي النظر في صناعة الطب ومباحثها، عارفاً بالأدب، ويتقن العربية والفارسية، وله شعر باللغتين العربية والفارسية. وكان طلاب العلم يقصدونه من كافة البلدان يعشقون مجلسه والاستماع إليه، وكان يعقد مجالسه العلمية حيثما حل في بلاد فارس، وخراسان، وبلاد ما وراء النهر، وكان يقرب منه في حلقات درسه تلاميذه الكبار، وبقية الطلاب والأمراء والعظماء من مستمعيه في حلقات تتلوها حلقات.

قصة الحمامة

حدث في إحدى هذه المجالس أن حماماً يطاردها صقر رفرفت في دائر صحن جامع هراة وسقيفته، وكانت العيون ترقبها فلم تجد ملاذاً لها سوى أن تدخل إيوان الجامع، ومرت بين الصفوف المتحلقة، وفوق الرؤوس، واستقرت في حجر فخر الدين الرازي، فراح يربت على رأسها وريشها، ففر الصقر هارباً ونجت الحمامة، وكان الشاعر شرف الدين حاضراً المجلس، فارتجل شعراً في حكاية الحمامة، ومدح فخر الدين الرازي.

أحواله

وقد عانى فخر الدين الرازي في صباه وشبابه الكثير من أخيه الأكبر سنا الملقب بالركن، وكان أخوه الركن يعرف شيئاً من علوم الفقه والأصول، لكنه كان أهوج كثير الاختلال، ولذلك كان أبوهما لا يخفي إثارة فخر الدين الرازي على أخيه الأكبر، لذا كان هذا الأخ الأكبر يشعر بالغيرة من أخيه فخر الدين الرازي. فقد كان يتبعه في أسفاره ويسير خلفه يشنع عليه ويسفه المشتغلين بكتبه والناظرين في أقواله محتجا بأنه أكبر منه وأعلم وأكثر معرفة بالفقه وأصوله، متعجبا من الناس كيف يقولون فخر الدين الرازي ولا يقولون ركن الدين، ومع ذلك كان فخر الدين الرازي حينما يبلغه هذا الأمر يشعر بالإشفاق عليه ويسارع بالإحسان إليه. وقد عانى فخر الدين الرازي في شبابه المشقات في أسفاره في طلب العلم، فقد غادر الري قاصدا بخارى ليكتسب جديدا من العلم، ويكسب بعض المال وكانت بخارى ما زالت منارة من منارات العلم والمعرفة، ونزل في الطريق بخوارزم وعقد بها حلقة للعلم تحدث فيها بالفارسية والعربية بآراء لم ترض أهل خوارزم فأخرجوه منها، وقصد بخارى فوجد أهلها مثل أهل خوارزم، وعانى من الفقر والجوع، فأوى إلى مسجد الجامع إلى أن رعاه رجل من أهل بخارى، وجمع له مالا من أموال الصدقات. وعاد فخر الدين الرازي بعد ذلك إلى الري وأمن إلى طبيب حاذق له ثروة وله بنتان تزوج إحداهما، وتوفي هذا الطبيب بعد قليل فورثت ابنته ثروة لا بأس بها. وتوجه فخر الدين الرازي إلى السلطان شهاب الدين الغوري صاحب غزنة، فبالغ في إكرامه، ثم توجه فخر الدين الرازي إلى خراسان، واتصل بالسلطان خوارزم شاه محمد بن تكش، ويقال إنه قد أرسله رسولا إلى الهند في بعض أموره.

ومن بعد خراسان توجه فخر الدين الرازي إلى هرات (مدينة في أفغانستان)، وقد عزم على الإقامة مع أهله وولديه بها، واستقر فخر الدين الرازي في أواخر حياته بمدينة هرات، وصارت له بها دار فخمة أعطاها له السلطان خوارزم شاه محمد بن تكش الذي كان حريصا دائما على حضور مجالسه العلمية. وقد كان يعقد مجالسه العلمية بمسجد هراة. وقد توفي بهراة، ودفن بظاهر هراة عند جبل قريب منها عام 606هـ / 1209م. وفخر الدين الرازي بمجمل مؤلفاته هو أول من ابتكر الترتيب وفق قواعد المنطق في كتبه، من حيث ترتيب المقدمات واستنباط النتائج مراعيًا التقسيم إلى أبواب، وتقسيم الأبواب إلى فصول، وتقسيم الفصول إلى مسائل فلا تشذ منه مسألة، حتى انضبطت له القواعد، وانحصرت معه المسائل. وفخر الدين الرازي هو أول من قال من العرب: إن علم المنطق علم قائم بذاته وليس جزءا من غيره. ومن أهم إنجازات فخر الدين الرازي أنه كان من أوائل العلماء الذين قالوا بنظرية الورد في الضوء من المبصرات إلى العين، وفي كيفية الإبصار. وقد فسر فخر الدين الرازي حدوث الصوت في كتابه المباحث الشرقية بسببين: الأول منهما قريب يحدث من صدم ف صكون فصدمة فسكون. والثاني منهما بعيد ويحدث من عاملين: القرع. القلع.

اكتشافاته

وقد اكتشف فخر الدين الرازي الفرق بين قوة الصدمة والقوة الثابتة، فالأولى زمنها قصير، والثانية زمنها طويل. كما اكتشف أن الأجسام كلما كانت أعظم كانت قوتها أقوى، وزمان

فعلها أقصر، وأن الأجسام كلما كانت أعظم كان ميلها إلى أحيائها الطبيعية أقوى وكان قبولها للميل القسري أضعف. وقد ذكر فخر الدين الرازي أن الحركة حركتان: حركة طبيعية سببها موجود في الجسم المتحرك، وحركة قسرية سببها خارج عن الجسم المتحرك. كما عزا فخر التغير الطارئ على سرعة الجسم إلى المعوقات التي يتعرض لها، ولولاها لاحتفظ الجسم بسرعة ثابتة إذ أن تغير السرعة مرهون بتغير هذه المعوقات، داخلية كانت أو خارجية. وكلما كانت المعوقات أقوى كانت السرعة أضعف. وذكر فخر الدين الرازي أن الجسمين إذا اختلفا في قبول الحركة الطبيعية، لم يكن ذلك الاختلاف بسبب المتحرك بل بسبب اختلاف حال القوة المحركة بين الجسمين، فالقوة في الجسم المتحرك الأكبر، أكثر مما في الجسم المتحرك الأصغر. وأن الجسمين المتحركين حركة قسرية تختلف حركتهما لا لاختلاف المحرك بل لاختلاف المتحرك، فالمعاق في الكبير أكثر منه في الصغير. وشرح القانون الثالث من قوانين الحركة الذي يقول: لكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار ومضاد له في الاتجاه. وقد شارك فخر الدين الرازي العالم العربي المسلم ابن ملكا البغدادي في القول بأن الحلقة المتزنة بتأثير قوتين متساويتين تقع تحت تأثير فعل ومقاومة أي أن هناك فعلاً ورد فعل متساويين في المقدار ومتضادان في الاتجاه يؤديان إلى حالة الاتزان.

مؤلفاته

وقد ألف فخر الدين الرازي كتباً كثيرة، وشرح كتباً أخرى، في شتى العلوم والفنون في عصره، خلال حياة امتدت أربعة وستين عاماً. ومن أهم شروحه شرح الإشارات والتنبيهات للعالم ابن سينا. ومن أهم كتبه في الفيزياء: المباحث الشرقية وهو كتاب موسوعي على غرار كتاب ابن ملكا البغدادي: المعتمد في الحكمة وهو من أشهر كتبه، وقد أودع فيه كافة إنجازاته العلمية. ومن أهم كتبه في الرياضيات: مصادرات إقليدس وهو كتاب في الهندسة. ومن أهم مؤلفاته في الفلك: رسالة في علم الهيئة. ومن أهم كتبه في الطب: مسائل في الطب. كتاب في النبض. كتاب في الأشربة. وكتابان لم يتمهما: الطب الكبير أو الجامع الملكي الكبير. كتاب في التشريح من الرأس إلى القدم. وهو كتاب هام في علم التشريح وله شروح لبعض كتب ابن سينا الطبية وهي: القانون في الطب. الكليات. عيون الحكمة.

تفسير ابن كثير

هو الشيخ الإمام العلامة الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن الشيخ الخطيب أبي حفص شهاب الدين عمر، خطيب قريته ، ابن كثير ضوء بن كثير بن زرع القرشي، البصري الأصل الدمشقي اليشأة والتربية والتعليم، الشافعي السلفي المذهب والمنهج. ولد رحمه الله تعالى وغفر له بمجدل القرية من أعمال بصري شرق دمشق سنة 701 . ومات أبوه وهو في الرابعة من عمره فرباه أخوه الشيخ عبد الوهاب. ثم انتقل إلي دمشق سنة 702 وهو في الخامس من عمره . وسمع بها من مسند الشام بهاء الدين القاسم بن عساكر و من اسحاق بن يحيى الأمدى ومن الشيخ الإسلام تقي الدين أحمد.

اشتغل بالحديث مطالعة في متونه و رجاله و جمع التفسير و شرع في كتاب كبير في الأحكام لم يكمل ، و جمع التاريخ الذي سماه " البداية والنهاية" وعمل طبقات الشافعية، وجرّح أحاديث التنبيه - في الفقه الشافعي - وأحاديث مختصر الحاجب الأصلي، وشرع في شرح البخاري ، ولازم المزيّ قرأ عليه تهذيب الكمال.

تفسير ابن كثير للإمام الحافظ بن كثير (المتوفى سنة 774 هجرية) من أهم وأشهر ما دون في التفسير المأثور، وهو في هذه الناحية يعتبر الكتاب الثاني بعد كتاب ابن جرير الطبري. مع صغر حجمه ووجازة لفظه وشمول معانيه، ويحظى بقبول واسع بين الناس خاصة وعامة.

وكان كثير الاستخصار ، حسن المفاكهة وصارت تصانيفه في البلاد في حياته ، وانتفع بها الناس بعد وفاته . ولم يكن علي طريف المحدثين في تحصيل العوالي ، وتمييز العالي من النازل ونحو ذلك من فنونهم.

أهم مميزات تفسير ابن كثير:

اختار الإمام ابن كثير أحسن الطرق في تفسير القرآن مثل الرواية عن مفسري السلف وتفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة والأحاديث والآثار المسندة إلى أصحابها وتفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

كما اهتم باللغة وعلومها واهتم بالأسانيد ونقدها واهتم بذكر القراءات وأسباب النزول.

المنهاج

قدم ابن كثير كتابه بمقدمة طويلة هامة، تعرض فيها لكثير من الأمور التي لها تعلق واتصال بالقرآن وتفسيره. ولكن أغلب هذه المقدمة مأخوذ بنصه من كلام شيخه ابن تيمية الذي ذكره في "مقدمته في أصول التفسير".

وهو يمتاز في طريقته بأن يذكر الآية، ثم يفسرها بعبارة سهلة موجزة، وإن أمكن توضيح الآية بأية أخرى ذكرها وقارن بين الآيتين، حتى يتبين المعنى ويظهر المراد منه. وهو شديد العناية بهذا النوع من التفسير الذي يسمونه تفسير القرآن بالقرآن، وهذا الكتاب أكثر ما عرف من كتب التفسير سرداً للآيات في المعنى الواحد.

ثم بعد أن يفرغ من هذا كله، يشرع في سرد الأحاديث المرفوعة التي تتعلق بالآية، ويبين ما يحتاج به منها، ثم يردف هذا بأقوال الصحابة والتابعين ومن يليهم من علماء السلف.

ونجد ابن كثير يرجح بعض الأقوال على بعض، ويضعف بعض الروايات، ويصحح بعضاً آخر منها، ويعدل بعض الروايات ويجرح بعضاً آخر. وهذا يرجع إلى ما كان عليه من المعرفة بفنون الحديث وأحوال الرجال.

المصادر

كثيراً ما ينقل ابن كثير من تفسير ابن جرير وابن أبي حاتم وابن عطية وغيرهم ممن تقدمه.

ابن كثير والمسائل الفقهية

يلاحظ على ابن كثير أنه يدخل في المناقشات الفقهية ويذكر أقوال العلماء وأدلتهم عندما يشرح آية من آيات الأحكام. ومن الأمثلة على ذلك تفسيره قوله تعالى في الآية (185) من سورة البقرة: (فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر).. الآية، فإنه ذكر أربع مسائل تتعلق بالآية، وذكر أقوال العلماء وأدلتهم على ما ذهبوا إليه.

وهكذا نجد أنه يدخل في خلافات الفقهاء، ويخوض في أدلتهم ومذاهبهم كلما تكلم عن آية لها تعلق بالأحكام، ولكنه مع هذا مقل مقتصد لا يسرف كما أسرف غيره من المفسرين.

تاريخ كتابته

لم يحدد الحافظ ابن كثير تاريخ بدايته في كتابة هذا التفسير ولا تاريخ انتهائه منه. لكن ثمة دلائل تدل على تاريخ انتهائه منه، فإنه ذكر عند تفسير سورة الأنبياء شيخه المزي ودعا له بطول العمر مما يفهم منه أنه قد أُلّف أكثر من نصف التفسير في حياة شيخه المزي المتوفى سنة (742 هـ).

واقتبس منه الإمام الزيلعي في كتابه تخريج أحاديث الكشاف (2-180) والزيلعي توفي سنة (762 هـ)، مما يدل على أن كتاب الحافظ ابن كثير انتشر في هذه الفترة.

هذا وتعتبر النسخة المكية أقدم النسخ التي وقعت بأيدينا، وقد جاء بأخرها: "آخر كتاب فضائل القرآن وبه تم التفسير للحافظ العلامة الرحلة الجهبذ مفيد الطالبين الشيخ عماد الدين إسماعيل الشهير بابن كثير، على يد أفقر العباد إلى الله الغني محمد بن أحمد بن معمر المقرئ البغدادي، عفا الله عنه ونفعه بالعلم، ووفقه للعمل به أمين.... بتاريخه يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة من سنة تسع وخمسين وسبعمائة هلالية هجرية".

أهميته

شهد تفسير الحافظ ابن كثير قبولا وانتشارا، فلا تكاد تخلو منه اليوم مكتبة سواء كانت شخصية أو عامة. وقد نهج الحافظ ابن كثير فيه منهجاً علمياً أصيلاً وساقه بعبارة فصحة وجمل رشيقة، وتتجلى لنا أهمية تفسير الحافظ ابن كثير، في النقاط التالية:

- ذكر الحديث بسنده.
- حكمه على الحديث في الغالب.
- ترجيح ما يرى أنه الحق، دون التعصب لرأي أو تقليد بغير دليل.
- عدم الاعتماد على الإسرائيليات التي لم تثبت في كتاب الله ولا في صحيح سنة رسول الله، وربما ذكرها وسكت عليها، وهو قليل.
- تفسيره ما يتعلق بالأسماء والصفات على طريقة سلف الأمة، رحمهم الله، من غير تحريف ولا تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل.
- استيعاب الأحاديث التي تتعلق بالآية،

رأيه في الإسرائيليات

للحافظ ابن كثير كلمات قوية في شأن الإسرائيليات وروايتها، وتفسيره يعد من الكتب الخالية من الإسرائيليات، اللهم إلا القليل الذي يحكيه ثم ينبه عليه، والناذر الذي يسكت عنه، وقد نبهت عليه في الحاشية.

ومن كلماته في الإسرائيليات قال في مقدمة تفسيره -بعد أن ذكر حديث "بلغوا عني ولو آية، وحديثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"-: "ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تُذكر للاستشهاد، لا للاعتضاد. فإنها على ثلاثة أقسام:

- أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما نشهد له بالصدق، فذاك صحيح.
- والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.
- والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجاوز حكايته لما تقدم. وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني. ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيراً، ويأتي عن المفسرين خلافٌ بسبب ذلك.

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (67) وما بعدها من سورة البقرة: (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) إلى آخر القصة، نراه يقص لنا قصة طويلة وغريبة عن طلبهم للبقرة المخصوصة وعن وجودهم لها عند رجل من بني إسرائيل، ويروي كل ما قيل في ذلك عن بعض علماء السلف، ثم بعد أن يفرغ من هذا كله يقول: (وهذه السياقات عن عبدة وأبي العلية والسدي وغيرهم فيها اختلاف، والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني إسرائيل، وهي مما يجوز نقلها ولكن لا تصدق ولا تكذب، فلهذا لا يعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا. والله أعلم).

ثناء أهل العلم على التفسير

قال السيوطي: وله (أي ابن كثير) التفسير الذي لم يؤلف على نمطه مثله.
وقال الشوكاني: وله التفسير المشهور وهو في مجلدات وقد جمع في فأوعى ونقل المذاهب والأخبار.

وقال أحمد شاكر في عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير: وبعد فإن تفسير الحافظ ابن كثير أحسن التفاسير التي رأينا، وأجودها وأدقها بعد تفسير إمام المفسرين أبي جعفر الطبري. والله أعلم

مؤلفات رحمه الله

1 تفسير القرآن العظيم: وهو من أفيد كتب التفسير بالرواية، يفسر القرآن بالقرآن ثم بالأحاديث المشهورة في دواوين المحدثين بأسنادها

التاريخ المسمى: البداية والنهاية
كتاب التكميل في معرفة الثقات والضعفاء ومجاهيل: جمع فيه كتالي شيخه المزني والذهبي وهما "تهذيب الكمال في أسماء الرجال"
كتاب الهدى والسنة في أحاديث المسانيد والسنن: وهو معروف بجامعة المسانيد طبقات الشافعية
تخريج أحاديث التنبيه

تفسير الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني

محمد بن علي بن محمد الشوكاني، أحد أبرز علماء أهل السنة والجماعة وفقهائها، ومن كبار علماء اليمن، وصاحب كتاب نيل الأوطار، ولد ببلدة شوكان باليمن عام 1759 م / 1173 هـ، ونشأ في صنعاء، وتلقى العلم على شيوخها، وجد في طلبه فأكثر من المطالعة والحفظ والسماع، حتى صار عالمًا كبيرًا يشار إليه بالبنان، توافد عليه الطلاب من كل مكان. اشتغل بالقضاء والإفتاء وكان داعية إلى الإصلاح والتجديد، ترك التقليد وسلك طريق الاجتهاد بعد أن اجتمعت فيه شرائطه كاملة. ترك مؤلفات كثيرة تدل على سعة علمه وسلامة منهجه. كثر خصومه كما كثر المعجبون به بسبب دعوته إلى الاجتهاد والتجديد. توفي بصنعاء بعد عمر زاخر بالعباءة.

هو الإمام العلامة الرباني والسهيل الطالع من القطر اليماني إمام الأئمة ومفتي الأمة بحر العلوم وشمس الفهوم سند المجتهدين الحفاظ فارس المعاني والألفاظ فريد العصر، نادرة الدهر.

شيخ الإسلام وقدة الأنام علامة الزمان ترجمان الحديث والقرآن . علم الزهاد أوجد العباد ، قامع المبتدعين آخر المجتهدين ، رأس الموحدين تابع المتبعين صاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها قاضي قضاة أهل السنة والجماعة شيخ الرواية والسماعة ، عالي الإسناد السابق في ميدان الاجتهاد على الأكابر الأمجاد المطلع على حقائق الشريعة ومواردها العارف بغوامضها ومقاصدها الشيخ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني اه .

وللشوكاني رحمه الله كتاب في التاريخ سماه " البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع" ذكر فيه ترجمة نفسه ونسبه إلى آدم . ولد في وسط نهار الاثنين الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة سنة 1173 هجرية في بلدة هجرة شوكان وتوفي رحمه الله ليلة الأربعاء السابع والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة 1255

قال صاحب الترجمة في كتابه البدر الطالع عند ذكر نسب والده . وعرف (أي والده) في صنعاء بالشوكاني نسبة إلى شوكان وهي قرية من قرى السحامية إحدى قبائل خولان بينها وبين صنعاء دون مسافة يوم وهو أحد المواضع التي يطلق عليها شوكان : قال في القاموس وشوكان موضع بالبحرين وحصن باليمن وبلدة بين سرخي وبيورد منه عتيق بن محمد بن عيسى وأخوه أبو العلاء عيسى بن محمد الشوكاني اه . ونسبة صاحب الترجمة إلى شوكان ليست حقيقية لأن وطنه ووطن سلفه وقرابته بمكان عدني شوكان بينه وبينها جبل كبير مستطيل يقال له هجرة شوكان فمن هذه الحيثية كان انتساب أهله إلى شوكان والله أعلم .

نشأته وطلبه العلم:

نشأ رحمه الله تعالى بصنعاء وترى في حجر أبيه على العفاف والطهارة وأخذ في طلب العلم وسماع العلماء وفرغ نفسه للطلب وجد واجتهد فقرأ القرآن على جماعة من المعلمين وختمه على الفقيه حسن بن عبد الله الهبل وجوده على جماعة من مشائخ القرآن بصنعاء ثم حفظ الأزهر للإمام المهدي في الفقه ومختصر الفرائض العصيفري والملحة للحريري والكافية والشافية لابن الحاجب والتهذيب للعلامة التفتازاني . والتلخيص في علوم البلاغة للقزويني والغاية لابن الامام وبعض مختصر المنتهى لابن الحاجب في أصول الفقه ومنظومة الجزري في القراءات ومنظومة الجزار في العروض وآداب البحث والمناظرة للإمام العبد.

ورسالة الوضع له أيضا .

وكان حفظه لبعض هذه المختصرات قبل شروعه في الطلب وبعضها بعد ذلك ، وقبل شروعه في الطلب كان كثيرا الاشتغال بمطالعة كتب التاريخ ومجاميع الأدب من أيام كونه في المكتب فطالع كتبا عدة ومجاميع كثيرة ثم شرع في الطلب والسماع والتلقي من أفواه الرجال إلى أن فارقه أجله ولقي ربه رحمه الله تعالى ورضي عنه .

مشايخه الذين أخذ عنهم العلم سماعا وقراءة :

قرأ رحمه الله على والده شرح الأزهار ، وشرح الناظري لمختصر العصيفري ، وقرأ شرح الأزهار أيضا على السيد العلامة عبد الرحمن بن قاسم المدائني ، والعلامة أحمد بن عامر الحدائي ، والعلامة أحمد بن محمد الحرازي وبه انتفع في الفقه وعليه تخرج وطالت ملازمته له نحو ثلاث عشرة سنة وكرر عليه قراءة شرح الأزهار وحواشيه وقرأ النحو عليه بيان ابن المظفر وشرح الناظري وحواشيه وفي أيام قراءته في الفروع شرع في قراءة النحو فقرأ الملحة وشرحها على السيد العلامة إسماعيل بن الحسن بن أحمد بن الحسن ابن الإمام القاسم بن محمد ، وقواعد الإعراب وشرحها للأزهري والحواشي جميعا على العلامة عبد الله بن اسماعيل النهمي ، وشرح السيد المفتي على الكافية على العلامة القاسم بن يحيى الخولاني والعلامة عبد الله بن اسماعيل النهمي وأكملة من أوله إلى آخره على كل واحد منهما ، وقرأ شرح الخبيبي على الكافية وحواشيه على العلامة عبد الله بن اسماعيل النهمي من أوله إلى آخره وكذلك قرأه من أوله إلى آخره على شيخه العلامة القاسم بن يحيى الخولاني ، وقرأ شرح الجامي على الكافية مع ما يحتاج إليه من الحواشي على السيد العلامة عبد الله بن الحسين بن علي ابن الامام المتوكل على الله إسماعيل من أوله إلى آخره . وقرأ شرح الرضى على الكافية على العلامة القاسم بن يحيى الخولاني وبقي منه بقية يسيرة ، وقرأ شرح الشافية للطف الله الغياث جميعا على العلامة القاسم بن يحيى الخولاني ، وقرأ شرح ايساغوجي للقاضي زكريا على العلامة عبد الله بن اسماعيل النهمي جميعا ، وشرح التهذيب للشيرازي واليزدي على شيخه القاسم الخولاني من أولهما إلى آخرهما .

وشرح الشمسية للقطب وحاشيته للشريف على شيخه العلامة الحسن بن اسماعيل المغربي واقتصر على البعض من ذلك ، وشرح التلخيص المختصر للسعد وحاشيته للطف الله الغياث على العیمة القاسم بن يحي الخولاني جميعا ما عدا بعض المقدمة فعلى العلامة علي بن هادي عرهب ...

مؤلفاته

1. الفوائد المجموعة
2. شرح الصدور بتحريم رفع القبور
3. القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد
4. أدب الطلب ومنتهى الأدب
5. نيل الأوطار
6. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول
7. فتح القدير للشوكاني
8. الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني

وفاته

1255 هـ توفي الشوكاني في ليلة الأربعاء السابع والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة

في ظلال القرآن

في ظلال القرآن كتاب تفسير ألفه سيد قطب وقسمه إلى ثلاثين جزءا حسب تقسيم أجزاء القرآن وبنفس الترتيب. وطبع عدة مرات في مجلدات. ويصنف كتاب التفسير "في ظلال القرآن" ضمن التفاسير بالمأثور ولقد جمع بين الجانب التحليلي والبلاغي والأدبي الاجتماعي، ويصنف كذلك من بين التفاسير الموضوعية، حيث يهتم بالوحدة الموضوعية للسورة. "وذلك بالكلام عن السورة ككل، من ناحية أغراضها العامة والخاصة، مع ربط موضوعاتها، بعضها ببعض، حتى تبدو السورة، وهي في منتهى التناسق والإحكام، وكأنها عقد من لؤلؤ منظوم في غاية الإبداع"^[1]. ويعد سيد قطب من أبرز من اهتم بهذه الناحية، بصورة لم يسبق إليها، ولم يقاربه فيها أحد إلى الآن...^[1].

طبعاته

- **طبعاته الأولى** كتبها تحت ظروف قاسية وتعذيب شديد خلال وجوده في السجن الانفرادي. ولم يكن كتابه في طبعاته الأولى يحمل الطابع الرسمي للتفسير، ولكنها وقفات عقل متدبر، وقلب حي، ووجدان مرهف أمام القرآن، يلتمس عظمته، ويجلي إعجازه، ويبين حقائقه، وينبه على مقاصده، وإن تغير ذلك في الأجزاء الأخيرة (وفي الطبعة الثانية).
- **طبعاته الثانية** كتبها بعد خروجه من السجن حيث تراجع عن عدد من أخطاءه (خاصة في موقفه السلبي من بعض الصحابة) وصحح الكثير من العبارات، وأعاد صياغة كتابه متأثراً بتفسير ابن كثير لي طرح المواضيع الفقهية بشكل أعمق من ذي قبل. وفي الطبعة الثانية للأجزاء الأولى، فقد بدأ يهتم بالجانب التفسيري، حيث أفرغ خلاصة تفسير ابن كثير في "ظلاله". لكنه اعتقل مجدداً قبل أن يقوم بإعادة تنقيح كل التفسير. لذلك بقيت الأجزاء الأخيرة كما هي.
- **طبعاته الشرعية السابعة**: ظهرت الطبعة الشرعية السابعة لـ تفسير القرآن "في ظلال القرآن" في ستة مجلدات من الحجم الكبير، عن "دار الشروق" في السنة 1398 هـ / 1978 م. وللطبعة هذه أهمية إذ تتضمن إضافات وتنقيحات تركها المؤلف ونشرت لأول مرة بعد موته، وتضمنت كذلك مراجعة شاملة والتصويب الدقيق لما كان في الطبعة الأصلية - التي صورت عنها الطبعاات غير المشروعة - من أخطاء في الآيات القرآنية والتفسير.

وقدم هذه الطبعة محمد قطب أخو "سيد قطب" في هذه الكلمات الوجيزة: "في ظلال القرآن" .. الكتاب الذي عاشه صاحبه بروحه وفكره وشعوره وكيانه كله.. وعاشه لحظة لحظة، وفكرة فكرة، ولفظة لفظة.. وأودعه خلاصة تجربته الحية في عالم الإيمان.. لقد أن له أن يأخذ وضعه الطبيعي في يد ناشر أمين.. يقدر أنه ناشر فكر قبل أن يكون جامع مال.. وأن نشر الفكر رسالة عليا وليس انتهازية طامعة.. فلنكن هذه الطبعة المشروعة الصادرة عن دار

الشروق.. بعد طول التطواف في طبقات غير مشروعة.. فلتكن في ثوبها الجديد هذا.. تحية منا في رحلتنا العابرة على الأرض.. إلى المؤلف الشهيد..". اهـ

ترجماته

ترجم كتاب التفسير "في ظلال القرآن" إلى عدة لغات: فظهرت ترجمة للكتاب باللغة الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والأردنية، والتركية، واللغة الإندونيسية، والفارسية، والبنغالية.

الحياة في ظلال القرآن

وإليك الحياة في ظلال القرآن كما عاشها سيد قطب ويقدم بها في ظلال القرآن، نجتزء منها هذا المقطع:

. الحياة في ظلال القرآن نعمة. نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها. نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه. والحمد لله.. لقد منّ علي بالحياة في ظلال القرآن فترة من الزمان، ذقت فيها من نعمته ما لم أذق قط في حياتي. ذقت فيها هذه النعمة التي ترفع العمر وتباركه وتزكيه.

. لقد عشت أسمع الله - الله - يتحدث إلي بهذا القرآن.. أنا العبد القليل الصغير.. أي تكريم للإنسان هذا التكريم العلوي الجليل؟ أي رفعة للعمر يرفعها هذا التنزيل؟ أي مقام كريم يتفضل به على الإنسان خالقه الكريم؟

. وعشت - في ظلال القرآن - أنظر من علو إلى الجاهلية التي تموج في الأرض، وإلى اهتمامات أهلها الصغيرة الهزيلة.. أنظر إلى تعجب أهل هذه الجاهلية بما لديهم من معرفة الأطفال، وتصورات الأطفال، واهتمامات الأطفال.. كما ينظر الكبير إلى عبث الأطفال، ومحاولات الأطفال. ولثغة الأطفال.. وأعجب.. ما بال هذا الناس؟! ما بالهم يرتكسون في الحمأة الوبيئة، ولا يسمعون النداء العلوي الجليل. النداء الذي يرفع العمر ويباركه ويزكيه؟

عشت أتملى - في ظلال القرآن - ذلك التصور الكامل الشامل الرفيع النظيف للوجود.. لغاية الوجود كله، وغاية الوجود الإنساني.. وأقيس إليه تصورات الجاهلية التي تعيش فيها البشرية، في شرق وغرب، وفي شمال وجنوب.. وأسأل.. كيف تعيش البشرية في المستنقع الأسن، وفي الدرك الهابط، وفي الظلام البهيم وعندها ذلك المرتع الزكي، وذلك المرتقى العالي، وذلك النور الوضيء؟

. وعشت - في ظلال القرآن - أحس التناسق الجميل بين حركة الإنسان كما يريد الله، وحركة هذا الكون الذي أبدعه الله.. ثم أنظر.. فأرى التخبط الذي تعانيه البشرية في انحرافها عن السنن الكونية، والتصادم بين التعاليم الفاسدة الشريرة التي تملأ عليها وبين فطرتها التي فطرها الله عليها. وأقول في نفسي: أي شيطان لئيم هذا الذي يقود خطاها إلى هذا الجحيم؟ يا حسرة على العباد!!!

. وعشت - في ظلال القرآن - أرى الوجود أكبر بكثير من ظاهره المشهود.. أكبر في حقيقته، وأكبر في تعدد جوانبه.. إنه عالم الغيب والشهادة لا عالم الشهادة وحده. وإنه

الدنيا والآخرة، لا هذه الدنيا وحدها.. والنشأة الإنسانية ممتدة في شعاب هذا المدى المتطاوول كله إنما هو قسط من ذلك النصيب. وما يفوته هنا من الجزاء لا يفوته هناك. فلا ظلم ولا بخس ولا ضياع. على أن المرحلة التي يقطعها على ظهر هذا الكوكب إنما هي رحلة في كون حي مأنوس، وعالم صديق ودود. كون ذي روح تتلقى وتستجيب، وتتجه إلى الخالق الواحد الذي تتجه إليه روح المؤمن في خشوع: والله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والأصال .. تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن، وإن من شيء إلا يسبح بحمده .. أي راحة، وأي سعة وأي أنس، وأي ثقة يفيضها على القلب هذا التصور الشامل الكامل الفسيح الصحيح ؟

• وعشت - في ظلال القرآن - أرى الإنسان أكرم بكثير من كل تقدير عرفته البشرية من قبل للإنسان ومن بعد.. إنه إنسان بنفخة من روح الله: فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين .. وهو بهذه النفخة مستخلف في الأرض: وإذ قال ربك للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة.. ومسخر له كل ما في الأرض: وسخر لكم ما في الأرض جميعا.. ولأن الإنسان بهذا القدر من الكرامة والسمو جعل الله الأصرة التي يتجمع عليها البشر هي الأصرة المستمدة من النفخة الإلهية الكريمة. جعلها أصرة العقيدة في الله.. فعقيدة المؤمن هي وطنه، وهي قومه، وهي أهله.. ومن ثم يتجمع البشر عليها وحدها، لا على أمثال ما تتجمع عليه البهائم من كلاً ومرعى وقطيع وسياج !..

• والمؤمن ذو نسب عريق، ضارب في شعاب الزمان. إنه واحد من ذلك الموكب الكريم، الذي يقود خطاه ذلك الرهط الكريم: نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق، ويعقوب ويوسف، وموسى وعيسى، ومحمد.. عليهم الصلاة والسلام.. وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون.. هذا الموكب الكريم، الممتد في شعاب الزمان من قديم، يواجه - كما يتجلى في ظلال القرآن - مواقف متشابهة، وأزمات متشابهة، وتجارب متشابهة على تطاول العصور وكر الدهور، وتغير المكان، وتعدد الأقوام. يواجه الضلال والعمى والطغيان والهوى، والاضطهاد والبعي، والتهديد والتشريد. ولكنه يمضي في طريقه ثابت الخطو، مطمئن الضمير، واثقا من نصر الله، متعلقا بالرجاء فيه، متوقعا في كل لحظة وعد الله الصادق الأكيد: وقال الذين كفروا لرسلم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا. فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين، ولنسكننكم الأرض من بعدهم. ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد.. موقف واحد وتجربة واحدة. وتهديد واحد. ويقين واحد. ووعد واحد للموكب الكريم.. وعاقبة واحدة ينتظرها المؤمنون في نهاية المطاف. وهم يتلقون الاضطهاد والتهديد والوعيد..

من مزايا التفسير "في ظلال القرآن"

لقد عاش سيد قطب "في ظلال القرآن"، لمدة 25 سنة كما ذكر ذلك هو نفسه في تفسيره... بعد استكمال حفظ كتاب الله واستظهاره، ودراسة عشرات التفاسير التي يحيل عليها أحيانا وينتقدها تارة أخرى. والدارس لتفسير "في ظلال القرآن" يقف ولا شك على ما يمتاز به هذا التفسير عن سواه. فهو ينفرد بمزايا خاصة كثيرة يطول استعراضها بالبيان في هذا السياق،

نذكر منها : مقدمات السور وتلخيص موضوعاتها ومضمون كل منها تحليلاً، مع إبراز طابع كل سورة وشخصيتها وظلها الخاص بها، وحكمة ترتيب آياتها ومقاطعها، والإيقاع الموسيقي لتلك المقاطع وتغيير القافية بحسب السياق ودوره في التبشير أو النذير والوعد أو الوعيد، الخ... والوقوف على المكي منها المصطبغ بالتركيز على عقيدة التوحيد الصحيحة، ثم المدني منها المبين لأحكام الشريعة بعد قيام دولة الإسلام على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة، وإلى غير ذلك من الأمور ومظاهر التصوير الفني في القرآن، والبلاغة والإعجاز، مع توظيف أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمتشابه والمحكم وشتى علوم القرآن، والحقائق العلمية الحديثة والتاريخية التي تواكب النص القرآني بدون تعارض. وأسرار القرآن وعجائبه لا يمكن إحصاؤها واحتواؤها، فينفد البحر تلو البحر حبراً يُكتب ولن تنفذ كلمات الله عبر العصور والأمصار. هذا من حيث الشكل، أما من حيث المضمون : فمنهج سيد قطب صارم، بالنقيد في التفسير بالمأثور والرجوع إلى السنة والنصوص الثابتة رواية، والمرفوعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فيشعر القارئ بمدى الاحتراز والحذر الذي يبديه مثلاً من الإسرائيليات، التي يأسف لتسربها لكتب التفسير قديمها وحديثها على جلال قدرها. فيعرض عن الروايات التي "يشم" منها أساطير التوراة المحرفة، ولا يجاري باقي المفسرين بإقحامها في تفسيره الذي أراده الله أن يكون خالصاً للناهلين، خالصاً مخلصاً من تلك الإسرائيليات التي تسربت لجل كتب التفسير، بأسلوب ممتع سلس، ويُخرج لنا من بطون المجلدات الست من تفسيره رحيقاً مختوماً وشراباً سائغاً للشاربين. وما هو إلا فتح من الله عليه وعلى من استفاد من تفسيره للذكر الحكيم. وقد كان يمر بالآية ويقول بكل تواضع أنه استعصى عليه فهمها، فيفتح عليه بفهم من العلم اللدني، فيتداركها بالشرح في الطبعة اللاحقة من تفسيره... وهذا إن هو إلا غيض من فيض فقط...